

## السياحة الثقافية و الأثرية و تدعيم الهوية و الإلتزام " دراسة اثنوجرافية "

أ.د. سهير حسين إبراهيم الدمنهوري ♦

### مبحث تمهيدى فى منهجية الدراسة و أقسامها الرئيسية : —

مقدمة :

يواجه العالم اليوم تحدياً خطيراً لم يشهده التاريخ من قبل ، تحدياً يترجمه الواقع نحو سباق التقدم ، حيث التقدم الهائل لبعض الدول الأمريكية و الأوروبية و الآسيوية يقابله فى نفس الوقت تراجع و ثبات لدول أخرى يطلق عليها الدول المتخلفة .

و هذا التحدى الذى يواجهه الدول المتخلفة أو النامية الآن يتطلب منها الأخذ بمشروعات التنمية و أدائها للدخول إلى العالم المتقدم وخاصة المشروعات السياحية و الثقافية و الأثرية لتدعيم هويتها و انتماء أبنائها لها خشية الوقوع فى أزمة التخلّى عن الجذور و الأصول الثقافية للمجتمعات الفقيرة و يعد الحفاظ على الأرض و ما عليها من ثروات طبيعية و أثرية أنما هو جزء من التأكيد على الهوية و الإلتزام . من هنا لا يمكن لبلدان العالم الثالث الخروج من واقع أزمة التخلّف و التبعية إلا من خلال إعادة فى بناء الهياكل الاقتصادية و الاجتماعية و نظرة متأنية علمية من العلماء و المتخصصين من أبنائها .

ولذلك فإن التنمية التى تتخذها معظم هذه البلدان شعاراً لها و التى يراد بها الإلتقال من حالة التخلّف إلى حالة التقدم بكل أبعادها لن تنجح إلا إذا كانت هذه العملية شاملة متكاملة بمعنى ضرورة تواجد التحرير و الديمقراطية و العدالة الاجتماعية و الاعتماد الجماعى على الذات و الشعور بالإلتزام و المواطنة حتى يتسنى لأفرادها العمل قدماً و التقانى فى أداء الواجب للحفاظ على كنوزها و ثرواتها فى باطن الأرض و ما عليها من آثار للنهوض بها إلى الأمام طالما يتأكد لديهم بأنهم أصحاب الأرض الحقيقيين يتمتعون بعضويتهم لها دون أن يكون هناك الشعور بأن البعض يموتون فداءً لها و البعض الآخر يجنون ما لا تصنعه أيديهم .

ولا يتم هذا النوع من التنمية بشكل تلقائى من خلال المبادرات الخاصة و تفاعل قوى السوق ، إنما هى تحتاج إلى قيادات حازمة ذات رؤية مستقبلية و تصور استراتيجى و إرادة سياسية قوية و تخطيط فعال كما تحتاج إلى سيطرة على الموارد

♦ أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة حلوان - قسم الاجتماع و الانثربولوجيا .

وتحريرها من الهيمنة الأجنبية و السيطرة على الفائض الاقتصادي حتى يتم تعبئته وتوجيهه للاستخدامات ذات الأولوية من بناء التنمية المستقلة<sup>(١)</sup> .  
والحقيقة إن مدخل التنمية المستقلة لهذا الموضوع الهام و هو الإنتماء والمواطنة يعد من وجهة نظر الباحث أفضل المداخل للتأكيد على المواطنة والإنتماء و الإعتماد على الذات و الذي يراد به عدة أمور منها : -

**أولاً :** إن التبعية هي جوهر عملية التخلف الاقتصادي و الاجتماعي و ان كانت التنمية هي نقيض التخلف و بذلك يصبح من المنطقي أن تعنى التنمية أول ما تعنى التحرر من التبعية و بناء الاعتماد الذاتي الذي يضمن استقلالية التنمية .

**ثانياً :** هذا المدخل يستفيد إلى أقصى حد من كل الموارد المتوفرة للدول النامية بالأخص مصر و هو المورد البشري ، فالاعتماد على القوى البشرية هو العنصر الحاكم لإستخدام بقية العناصر

الأخرى في عملية التنمية ، خاصة عندما يكون لديهم الشعور بالإنتماء للأرض و ما عليها من آثار تترجم سياحياً و انها ملكية خالصة لهم حتى يعملون على حمايتها دون تخريب .

**ثالثاً :** العالم المتغير اليوم من حولنا و المتغيرات المتوقعة مستقبلياً يجعل من مدخل التنمية المعتمدة على الذات أمراً حتمياً أكثر منه اختيارياً .

ويعد موضوع السياحة بكل أنواعها المختلفة و خاصة الأثرية كشكل من أشكال التنمية من الموضوعات الحديثة نسبياً و الجديرة بالدراسة و لذلك أصبحت قضية السياحة من أبرز قضايا القرن الحادي والعشرون تعمق فكرة مزج الثقافات المختلفة من خلال الاحتكاك بين السائحين والمستقبلين لهم .

وتبحث أنثروبولوجيا السياحة في العوامل التي تؤثر في السياحة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ترتبط بالأفراد و الجماعات ، فهي وطيدة الصلة بالبناء الاجتماعي من حيث النظم المختلفة ( اقتصادية - ثقافية ) و هكذا . . فهي تؤثر في المجتمع و تتأثر به ، و أثناء التفاعل بين السياحة و السياق الاجتماعي تتولد مجموعة من النتائج على كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية و البيئية و هذه النتائج منها ما هو إيجابي و منها ما هو سلبي يؤثر في علاقة السائح الأجنبي و الأفراد المحليين في الحفاظ على الآثار و الحضارات من الإندثار و التخريب بها و العبث بمقدرات تاريخ المجتمعات الإنسانية .

<sup>١</sup> - صبحي محمد قنوص ، أزمة التنمية - دراسة تحليلية للواقع السياسي و الاقتصادي بين بلدان العالم الثالث - عالم المعرفة ، الدراسة الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ م ص ٩ .

و من خلال النظرة المتأنية للبناء الاجتماعي ، فيمكن القول بأن المجتمع المصري قد تعرض للعديد من التحولات في كافة المجالات الأيدلوجية والاقتصادية على المستوى الداخلي منذ منتصف القرن العشرين و حتى الآن ، فضلاً عن التحولات العالمية التي تفاعلت فيما بينها لتعكس على المنظومة القيمية بالمجتمع ، فقد أدى ذلك إلى تأسيس نوع من التسبب الأيدلوجي و الثقافي و الاجتماعي والاقتصادي أدى بدوره إلى اهتزاز ملامح الشخصية الاجتماعية وأدى إلى ظهور العديد من القيم السلبية التي أثرت على منظومة القيم الأخلاقية العامة التي كانت تشكل التميز للمجتمع المصري و بالتالي على المواطنة و الإلتناء و الهوية<sup>(٢)</sup> .

والدراسة الراهنة تهتم بمجتمع الواحات البحرية الذي يعد حديث العهد نسبياً بالعمل السياحي و الذي يقوم على المزج الثقافي بين ثقافة السائح و الثقافة المحلية و الذي نجم عنه مزيد من المشروعات السياحية التنموية القائمة على زيادة المعارف و الخبرات من خلال الاتصال الثقافي الذي ينتج عنه عمليات اقتباس و استعارة للسمات الثقافية المادية و اللامادية أو تعديل و تحديث بعض السمات الثقافية التي تؤثر بدورها على طبيعة العادات و التقاليد السائدة في المجتمع الواحاتي و بناءً عليه تتغير الأدوار و المكانات الاجتماعية و أيضاً النظرة إلى الذات و للآخر مما يحدث تغيير في منظومة القيم الأخلاقية و أنماط السلوك و هذه الأحداث تضع المجتمع المحلي الواحاتي على فوهة بركان من شأنه هدم البناء الاجتماعي الذي يؤدي إلى هدم الشعور بالذات و الإلتناء و الوطنية .

فكلما كان هناك تنمية متكاملة و استغلال أمثل للموارد الاقتصادية المتاحة و التي توفر فرص واسعة للكسب و اشباع الاحتياجات و الشعور بالإلتناء و المواطنة و الهوية كل ذلك يساعد الدول و المجتمعات النامية على التخلص من قيود التبعية الاقتصادية للقوى الغربية التي تحاول بسط نفوذها كاستعمار جديد و فرض هيمنتها من خلال بسط ثقافتها و محو ثقافة هذه المجتمعات و من ثم محو الهوية.

و أصبحت الخطوة التالية في المؤتمر الدولي للسياسات الثقافية للتنمية في استوكهولم في عام ١٩٩٨ م الذي اعتمد منهج عمل ينطلق من هذه الأفكار الثلاث: — \* التأكيد من السياحة في احترام الثقافات المحلية و احترام البيئة و أن مردودها المادي إنما يعود للمحافظة على التراث و على التنمية الثقافية . \* إشترك المواطنين و المجتمعات المحلية في برامج المحافظة على التراث حتى تتأكد لديهم الهوية و الإلتناء و المواطنة و حماية الأرض و ما عليها و ما بها .

<sup>٢</sup> - ماجدة القاضي ، المواطنة و الهوية في عصر العولمة ، مؤتمر جامعة المنوفية ، المواطنة و مستقبل مصر ، في الفترة من ٢٥ - ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧ ص ١٧٧ .

\* الحوار بين الثقافات يجب أن يصبح الهدف الأساسى للسياسات الثقافية وللمؤسسات الوطنية و الدولية .

#### أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم السياحة الثقافية فى أذهان أفراد المجتمع القبلى الصحراوى ( الواحات البحرية ) و كيفية التعامل مع السائح خاصة و أنهم حديث العهد بهذا النشاط الأقتصادى .

كما تهدف الدراسة إلى التعرف على مفهوم الهوية و الإلتناء و المواطنة فى الثقافة القبلية ، و نظرة أفراد المجتمع لتاريخهم و تراثهم الثقافى والأرض التى يعيشون عليها و ما تحويه من كنوز و موارد طبيعية يمكن الاستفادة منها و تتميتها ، حيث تعد التنمية النتيجة الحتمية لمزيد من الهوية والإلتناء .

وبذلك يتحول مفهوم السياحة إلى سياسة ثقافية للتنمية كما يتعدى مفهوم السياحة و الآثار السياحية إلى معرفة نسق حياة الأجانب أو السائحين بعاداتهم وتقاليدهم وتوجهاتهم المعلنة و غير المعلنة تجاه هذه الثقافات المحلية .

كما تهدف الدراسة أيضاً الكشف عن الدوافع و البواعث المختلفة لإقبال السائح على مناطق سياحية بعينها دون الأخرى و انعكاس ذلك على منطقة الدراسة ( الواحات البحرية ) .

كما تهدف الدراسة إلى التعرف على المشكلات المجتمعية المختلفة التى طرأت على المجتمع الواحاتى بعد ظهور السياحة المكثفة فى الأونة الأخيرة وتأثيرها على البناء الاجتماعى .

#### وتقوم الدراسة على فرضية و عدة تساؤلات :—

#### فرضية الدراسة :

تقوم الدراسة على فرضية مؤداها ، إسهام أفراد المجتمع المحلى فى صياغة العلاقة مع السائح الأجنبى و غير الأجنبى ليتحولوا إلى حلفاء ثقافيين يدركون مفهوم الثقافة السياحية ، وبذلك تتعدى السياحة زيارة الأثر ليشمل نسق الحياة المؤثر فى مفهوم الإلتناء و الهوية .

#### و تنبثق من هذه الإشكالية عدة تساؤلات منها : —

١ — لماذا تطرح الآن قضية المواطنة و الهوية و الإلتناء رغم أن هذه المفاهيم مستقرة فى نفوس المجتمع منذ عدة قرون ؟

٢ — ما هى الأسباب التى أدت إلى طرحها ؟

٣ — هل هناك متغيرات طرأت على الساحة العالمية و المحلية ؟

٤ — ما مدى تأثير السياحة ( الطبيعية و الأثرية ) فى ضعف القيم لدى أفراد المجتمع ؟

- ٥ — ما هي عوامل تهديد المواطنة و الهوية ؟  
٦ — ما هي عوامل تدعيم المواطنة و الهوية ؟  
٧ — ما مدى تأثير السياحة ( الأثرية و الطبيعية ) فى نسق الحياة اليومى لدى أفراد المجتمع ؟  
٨ — هل هناك علاقة بين السياحة كمنشأ اقتصادى و تدعيم الهوية ؟  
٩ — ما هي العلاقة بين التنمية بصفة عامة و بين المواطنة و الإنتماء و الهوية ؟  
١٠ — ما هو دور المجتمع المدنى فى تدعيم الهوية من خلال السياحة الثقافية والحفاظ على البيئة؟  
١١ — هل هناك علاقة بين السياحة ( الأثرية و الطبيعية ) كقطاع اقتصادى و الآثار السلبية اجتماعياً و بيئياً فى المجتمع ؟ و ما هو دور المجتمع المدنى فى القضاء على هذه الآثار ؟  
١٢ — هل للسياحة بأنواعها المختلفة آثاراً سلبية على البناء الاجتماعى للمجتمع الواحاتى خاصة النسق القرابى و الدينى ؟

### مفاهيم الدراسة : —

تتطلب من هذه الدراسة عدة مفاهيم و هي كالتالى : —

### أولاً : السياحة .

وأكدت المفاهيم الدولية بأن السياحة أصبحت صناعة لها أدواتها ووسائل خاصة لترويجها، وأنها تحتل المرتبة الثانية بعد صناعة البترول ،ومن ثم صارت وسيلة هامة من وسائل زيادة الدخل القومى وعاملاً أساسياً للتنمية الاقتصادية للعديد من الدول (٣). وتعرف السياحة أيضاً بأنها مجموعة الأنشطة البشرية التى تعينه على تحقيق سعادته و الشعور بكيانه و بقيمته فى كل لحظة من لحظات حياته و يستطيع أن يستثمرها فى تنمية عقله و روحه و قلبه و مختلف جوانحه (٤) .

### ثانياً : السياحة الثقافية : —

السياحة الثقافية مفهوم معاصر و حديث يربط بين السياحة و الثقافة و التراث والتنمية ، و تتحول السياحة إلى سياسة ثقافية للتنمية ، مما يؤدى ذلك إلى تحليل الظاهرة السياحية و فهمها وانتشارها فى الوقت الحالى لوضع خطط لتنظيم الدفق السياحى نحو المواقع التاريخية و التراثية الذى يتعدى زيارة الأثر الأركيولوجى ، كى يشمل نسق حياة الناس بعاداتهم و تقاليدهم و اقتصادهم اليومى و التراث الشعبى بكل

٣- محمد عبد الغنى سعودى ، مصر الإنسان و المكان ، المجلس الأعلى للثقافة لجنة الجغرافيا ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ٢٠٠٦ م ص ٢٦٣ .

٤- عادل طاهر، مفهوم التنمية السياحية بين الدول المتقدمة والدول النامية ، مجلة الحياة السياحية ، العدد ٤٢ ، لندن ١٩٨٧ م ، ص ٤٢ .

تجليات الماضي و الحاضر ، و السياحة الثقافية تقود إلى الثقافة السياحية أى إلى تعميق المعرفة المحلية بالتاريخ و التراث و بذلك تسهم فى انتقال المعرفة الرصينة و الحية بتراث الحضارات المتنوع و المتحول فى التنمية الدائمة . (٥)

### ثالثاً : الهوية : —

يعرف محمد عباس الهوية بأنها مجموعة السمات الفكرية و الوجدانية و الروحية و الوطنية و الثقافية التى تشكل فى مجملها إطاراً مرجعياً يعرف و يقدم الأفراد و الجماعات أنفسهم من خلاله فى تفاعلهم مع الآخرين ، و عليه فإن مفهوم الهوية يتضمن الإجابة عن تساؤل مؤداه ، من أنا ؟ و من أكون ؟ مقارنة مع الآخرين (٦) .

و من المعروف أن الذى يعطى الثقافة طابعها المميز و مقوماتها الخاصة، هو وجود طائفة من السمات العامة التى تسود المجتمع كله و تفرض نفسها عليه و التى تعرف بذلك باسم العموميات و تتمثل فى وحدة المشاعر و التقاليد و العادات التى يشترك فيها أعضاء المجتمع و هى التى تعطى المجتمع وحدته الثقافية فهى تعد عاملاً من عوامل التكامل و التماسك فى المجتمع، دون أن يتعارض ذلك مع التجانس الثقافى العام (٧) .

ولا شك أن روث بندكت Ruth Bendict قد أشارت فى مقالها عن الثقافة بعنوان Culture and Motivation ، أن الثقافة تعنى فى مجملها بأنها دوافع و بواعث إنسانية تستطيع أن توضع نشاط الجنس البشرى كله (٨) .

و يعانى دور ثقافتنا كـ (ذاكرة حافظة) من العديد من الأعراض المرضية، وأول هذه الأعراض هو عدم الإهتمام الكافى بالحفاظ على المنتجات الثقافية التى أنتجها المجتمع المصرى عبر تاريخه الطويل سواء تمثلت هذه المنتجات فى طريقة تلاوة القرآن أو فى أفلام سينمائية أو فى مآثورات شعبية أوفى مبانى أثرية، و ينعكس هذا على تدنى وعى أفراد المجتمع المصرى بأهمية هذه المنتجات فىصبح التقريط فيها و تشويهها أمراً معتاداً لا يثير الإحتجاج، وقد شوهدت ملامحه فى ضمائر الكثير من أبناء شعبنا . (٩)

٥- الهام كلاب البساط ، السياحة الثقافية - تجربة الاونيسكو ، مؤتمر الثقافة الشعبية العربية - الهوية والمستقبل ، ٢-٤ ابريل ٢٠٠٢م جامعة المنصورة ، كلية الاداب ، المركز الحضارى للعلوم الانسانية ، ص المقدمة .

٦- محمد عباس إبراهيم ، الثقافة العربية و تحديات العولمة ، شئون اجتماعية ، جمعية الاجتماعيين . الشارقة ، ربيع ١٩٩٩ م ص ١٥٥ .

٧- احمد ابو زيد ، التيار الاجتماعى ، الجزء الاول ، المفهومات ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٧٠ م ص ص ٢٠١، ٢٠٢ .

٨ Ahsan A. Jssa, Cross- Cultur studies of Behavior , Copyright 1970 by Holt Rinehart and Winston Inc . p.7

٩- السيد نصر الدين السيد، ثقافتنا المعاصرة : التوجهات و التحديات، المؤتمر العلمى السنوى السابع لجامعة تحوتى - الثقافة و التنمية - الاسكندرية فى الفترة من ٢٤ - ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٨ م ، ص ٥ .

المواطنة ترتب منظومة من الحقوق الأساسية أهمها الحق في الحياة المساواة ، الجنسية ، الملكية الخاصة ، التعليم ، الرعاية الصحية و العمل والضمان الاجتماعي و التفكير و العقيدة و الانتخاب و التمثيل النيابي و المواطنة تنطوي على الاحترام المتبادل في علاقة المواطن بدولته و بأفراد مجتمعه فولاء الفرد و انتماءه للوطن لا يولد معه وإنما ينمو تدريجياً مع إدراكه لما تبذله الدولة من جهد لخدمة مواطنيها و رعايتهم ، فإذا شعر الفرد بأن لا مكان له في مجتمعه نتيجة اضطهاد الدولة أو غيره من المواطنين له يتقلص شعوره بالمواطنة و الإلتزام بل أنه قد يتجه إلى السفر و الهجرة ، و يصبح أكثر تقبلاً لاكتساب مواطنة دولة أخرى يتمتع فيها بالشعور بالكرامة و الاحترام و الحرية (١) .

لما سبق ، يمكن طرح التساؤل التالي : — عما أصبح عليه حالنا ، نحن أحفاد الحضارات الأربع ضمن حضارات التاريخ الإنساني (المصرية القديمة ، اليونانية و الرومانية ، القبطية و الإسلامية) . لماذا أصبح حالنا هكذا ؟

### عوامل إضعاف الإلتزام و محو الهوية : —

- ١ — إنتشار البطالة و الفقر و عدم توافر فرص العمل و الكسب .
- ٢ — عدم الشعور بالأمن و الأمان على أرض الوطن .
- ٣ — افتقاد العدالة الاجتماعية و شعور الإنسان بعدم المساواة . و عدم تكافؤ
- ٤ — عدم إشباع الاحتياجات الإنسانية و ضعف مستوى الخدمات العامة .
- ٥ - وجود عدد كبير من المشكلات الاجتماعية في كافة المجالات .
- ٦ — الغزو الإعلامي المكتسح المستفز من خلال تكنولوجيا الإتصال .
- ٧ — المحاولات الدائمة لبيسط الثقافة الغربية و تهميش الثقافات القومية الخاصة .
- ٨ — نشر سياسة العولمة التي تتبناها القوى العظمى لتغيير الهويات .
- ٩ — الزواج بالأجنيبيات و نشر اللغة الغربية و التخلي عن اللغة القومية .
- ١٠ — نقشي الظلم و الفوضى في كافة مجالات الحياة المختلفة .
- ١١ — عدم التمسك بالقواعد و الأسس الدينية و البعد عن أداء الفرائض .
- ١٢ — زيادة نسبة عدد المشردون داخلياً .
- ١٣ — عدم المشاركة في المجال السياسي و البعد عن خطط العمل الوطنية .
- ١٤ — عدم تطبيق القوانين على الخارجين عليه .
- ١٥ — إنتشار أشكال المحسوبية و أساليب الغش في السلع اليومية .
- ١٦ - عدم وصول الخدمات كبنية أساسية لأفراد المجتمع .

١٠- منى مكرم عبيد ، المواطنة ، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية ، مارس ٢٠٠٦ م — العدد ١٥ — السنة الثانية ، ص ص ٦ ، ٧ .

١٧ — شعور الفرد بأنه يحتل مرتبة أدنى في المكانة و الأجر من اللذين يفدون من مجتمعات أخرى للعمل في بلده و في نفس التخصص .

بدأت الدراسة الاستطلاعية في شهر نوفمبر عام ٢٠٠٦ م أثناء نزول الباحثة كمشرفة على طلبة الليسانس شعبة الأنثروبولوجيا للتدريب الميداني وكان الملفت للأنظار في ذلك الوقت أن الأطفال ذكور و إناث أثناء سير السيارة أو النزول للأماكن الأثرية للزيارة يقولون بعض المقولات اللغوية التي تتم على فهمهم أن مجموعة الطلبة أجانب فذكروا كلمة ( هالو ) و بعض إشارات اليد للاستقبال و الوداع وهكذا شعرت الباحثة بالحس البحثي لديها أن هناك بعض التغيرات التي سوف تلحق بأساليب الحياة اليومية الاجتماعية و السلوك الاجتماعي لهذا المجتمع الذي يعد معزول بعض الشيء عن بقية المجتمع المصري و كان هذا داعي للإهتمام بالدخول في هذه الدراسة الأنثروبولوجية ، ثم جاءت الدراسة الميدانية الفعلية في ديسمبر في الفترة من ٥ / ٢ / ١١ حتى ٧ / ١٢ / ٢٠٠٧ م و استتبع ذلك زيارات أخرى متتالية منفصلة حتى شهر أكتوبر عام ٢٠٠٩ م .

و لقد استعانت الباحثة ببعض الموضوعات المذكورة في دليل العمل الذي أعده المركز القومي للبحوث الاجتماعية للمجتمعات الصحراوية و لكن مع إضافة بعض الموضوعات التي رأت الباحثة بأنها قد تفيد و تتلاءم مع طبيعة الموضوع و يمثل الدليل أفضل الوسائل المنهجية للحصول على المادة الأثنوجرافية التي تتضمن معلومات لأسلوب الحياة و التقاليد و العادات و القيم والأدوات و الفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة .<sup>(١١)</sup> و تعد هذه الدراسة أثنوجرافية وصفية تحليلية للتعرف على عمليات التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المحلي وبين السائحين و الوافدين من أنحاء مصر للعمل في هذا المجال المستحدث عليهم معتمدة على وصف النشاط السياحي كظاهرة اجتماعية حديثة في الواحات البحرية و كنوع جديد من الثقافة التي تغلغت في ثقافتهم التقليدية كما يراها أفراد المجتمع أو كما يعرفها الأهالي أنفسهم لا كما يفسرها الباحثون الأثنوجرافيون ، و الوقوف على تحليل لغة الأهالي التي تشتمل على مفاهيم و مضامين و تصورات لا يمكن الوقوف عليها من خلال ملاحظة السلوك الظاهري لأعضاء المجتمع .<sup>(١٢)</sup>

<sup>١١</sup> - حسين فهميم ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، العدد ١٣٨ ، يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٥٠ .

<sup>١٢</sup> - أحمد أبو زيد ، ماذا يحدث في علوم الإنسان و المجتمع ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، ١٩٧٧ م ص المقدمة



هذا بالإضافة إلى الوقوف على ربط التنمية و العمل السياحي و ما لهذا من تأثير على التأكيد على الهوية و الإنتماء و الشعور بالمواطنة للوطن فيما يعود مرة أخرى بالنفع على العملية التنموية . و من ثم فإن الاثنوجرافيا الجديدة تسعى لتقديم تحليل نقدي للنصوص المختلفة و المعلومات التي يدلى بها الأهالي فى سياقاتها الاجتماعية بعد أن يعكف الباحث الانثروبولوجى على ملاحظتها وسماعها لفهمها و ترميمها . (١٣)

كما يسهم المنهج الاثنوجرافى فى رسم الاطار العام للعادات و التقاليد المجتمعية من خلال نظرة الباحث لملاحظاته اليومية للسلوك الاجتماعى لافراد المجتمع و لذلك لا بد أن يكون الباحث موضوعى و حيادى كما يجب تنمية اللغة الاثنوجرافية لدى الباحثين النثروبولوجيين فى العمل الاكاديمى . (١٤)

و يتضح ذلك من خلال جمع المادة الميدانية المرتبطة باللغة اليومية و الرموز بكل أشكالها و صورها الحياتية فى الزى على سبيل المثال و سماع الأغنيات الوافدة و ما تعكسه صور التفاعل و العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المحلى بينهم و بين السائحين ولغاتهم المتعددة ( ألمانية — فرنسية — صينية — يابانية — كورية ) . و أعمدت الدراسة على المنهج الانثروبولوجى و كذا على أدواته الملاحظة المباشرة و التي تعتبر من أهم وسائل جمع البيانات ، ذلك بالإضافة إلى الملاحظة بالمشاركة و التي تساهم فى التعرف على ثقافة المجتمع الواحاتى و أسلوب الحياة اليومية ، طالما تتدرج المقابلات المتعمقة مع الإخباريين أصحاب المنشآت السياحية الذين اعتمد البعض منهم على رؤوس الأموال الأجنبية من خلال عقد صفقات تجارية معينة أو من خلال الزواج بأجنبيات و أيضاً مع العاملين من أبناء الواحة فى هذا المجال السياحي و ذلك للوقوف على الرؤية الكلية لأعضاء المجتمع لهذا المجال المستحدث عليهم و ما قد يصيب الثقافة الفرعية الواحاتية من تغيرات قد تكون إيجابية أو سلبية مؤثرة فى الحفاظ على هويتهم و أنعكاس ذلك على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد المحليين بعضهم و بعض و ما قد ينعكس ذلك على العلاقات الزوجية بين الأزواج الذين يعملون فى هذا المجال .

كما أعتد البحث الراهن على الرمزية كإسهام نظرى يمكن الاستفادة منه لتحليل الأساليب و الوسائل التي بمقتضاها تنتشر صور الثقافة المحلية بثقافات أخرى مختلفة عن طريق اللغة و أساليب التفكير للمجتمع المحلى .

<sup>13</sup> - Michael Agar Ethnography and cognition , copyright 1974 , by Burgess publishing company , printed in the U. S. A . P . 3 .

<sup>14</sup> - Michal H . Agar " Toward on E thnographic Language " copyright@ 1982 by the American Anthropological Association .

ويمكن القول أن أبرز ملامح اللغة أنها ليست فقط أداة للاتصال الخارجي بينما و بين الآخرين فحسب ، بل هي أداة داخلية تستخدم في التفكير و تمثيل المعاني و تنظيم العالم المحيط للأفراد ، و تعد اللغة كحلقة وصل بين العالم الخارجي و العالم الداخلي له أهمية قصوى في تطور كل من الثقافة و الفرد ، فهي تمكن الأفراد من أن يرمزوا بخبراتهم و يعملوا على حفظها ، كما أنها تتيح جوهر الحياة الاجتماعية للإنسان ، و هناك تأثير و تأثير متبادل بين اللغة كأداة للاتصال الخارجي بين الأفراد و كأداة للتفكير بوجه عام (١٥) .

لم يغفل البحث قيمة الأنساق و النظم المكونة للبناء الاجتماعي من خلال الوظيفة البنائية التي تكشف عن العلاقات المتشابهة لكل النظم و لذلك فإن المدخل الأيكولوجي من أهم المداخل لدراسة البناء الاجتماعي التي تتطلب دراسة الظروف و العوامل الجغرافية و الطبيعية السائدة في تلك المجتمعات الصحراوية و البسيطة التي لم تقطع شوطاً كبيراً في مجالات التقدم التكنولوجي الثقافي ، ففي مثل هذه المجتمعات يظهر أثر البيئة قوياً واضحاً في كل النظم الاجتماعية (١٦) .

مما سبق يمكن القول أن الفرد يتفاعل مع الآخرين من حوله في بيئة فيزيقية و محيط رمزي تحركه الرموز التي يكتسبها من خلال هذا التفاعل ، لذلك ينظر إلى هذه الرموز على أنها قيم و معاني شائعة و مألوفة (١٧) .

يقع هذا البحث في نطاق الدراسات الأثنوجرافية التي تهتم بجمع المادة من أجل التحليل العلمي حيث لا يقتصر البحث على الجانب الأثنوجرافي فقط بل الجانب الأثنولوجي و الخاص بالدراسة التحليلية للعناصر الثقافية تلك العناصر التي تتناول موضوعاً و قضية هامة تستمد قوتها من قوة الموضوع في ذاته و الذي يرتبط بأبعاد عديدة ، ترى الباحثة أن البعد الثقافي هو أهمها فالثقافة تعني العنصر الشامل للقيم و العادات و التقاليد و القيم و القانون و الأعراف و الهوية و الدين و المعتقدات و الأخلاق و المهارات المختلفة و السلوكيات و كل ما يصنعه الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع ، و يتضح ذلك من العناصر الرئيسية للدراسة و التي سنعرضها و التي تتضمن ما يلي : —

- ١ — فذلكة نظرية أو كلامية في عناصر البحث عن المسألة السياحية .
- ٢ — الملامح الأيكولوجية لمجتمع البحث .
- ٣ — الثقافة و المكان — المفهوم و العلاقة و الآثار .

15 - Malcom Waters , Modern sociological the theory , SAGE Publications , London , Newdelhi . First Published 1994 , P . 24 .

١٦- أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع - الجزء الثاني - الأنساق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - الاسكندرية ١٩٧٠ م ، ص ١٠ .

١٧ - سامية مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية و دراسة الأسرة ، دار المعارف ١٩٩٣م ص ٣٦ .

- ٤ — السياحة و الجريمة — المفهوم و العلاقة و الآثار .  
٥ — السياحة و منظومة القيم — الملامح و المحددات .

### الملاح الأيكولوجية لمجتمع الدراسة :—

يعد المدخل الأيكولوجي من أهم المداخل المنهجية لاستخدامه وذلك لابرار دور الثقافة في التعامل مع البيئة و السيطرة عليها، وكذلك دور البيئة في تشكيل الثقافة و تحديد السلوك في المآكل و المشرب و المسكن و الدواء و الملابس و العمل و المعتقد الشعبي و مدى قبول أفراد المجتمع لكل ما هو جديد و مستحدث في حياتهم اليومية (١٨) .

كما أكدت دراسات الأنثروبولوجيا الأيكولوجية على توسيع وجهة النظر المتعلقة بمفهوم الأيكولوجيا من خلال التمييز بين النواحي الفردية التي تتعلق بالأساليب و الدوافع التي تؤدي إلى فهم نوايا الناس ، و أيضاً من الناحية التنظيمية التي تتعلق بالمعتقدات و المعايير و الأعراف و أنماط السلوك و من هنا يؤدي ذلك إلى فهم ذاتي للثقافة ، أما الناحية الأيكولوجية المتعلقة بالمناخ و الجيومورفولوجيا و النباتات و الحيوانات فهي تؤدي إلى فهم ذاتي للنسق البيئي في علاقة تبادلية و تأثيرية ، و من ثم يمكن القول بأن اهتمامات الباحث الأنثروبولوجي تنصب على دراسة الأيكولوجيا لمعرفة طرق و أساليب مشاركة الناس داخل هذا النسق البيئي (١٩) .

ويفيد هذا الاتجاه في دراسة النسق الاقتصادي و أنشطته المتعددة و مدى إتاحة فرص العمل التقليدية لأفراد المجتمع و فرص العمل المستحدثة و تأثيرها على العادات و التقاليد و العلاقة المتبادلة فيما بينهم و كيفية تقبل الناس لهذه الأنشطة الاقتصادية المستحدثة و التي ليس لهم قبل بها في الماضي .

و من هنا فقد اتفقت الدراسات الأنثروبولوجية التي اعتمدت على علم الجغرافيا على أن هناك علاقة بين السكان و البيئة و التي أطلق عليها كأتجاه نظري (الايكولوجيا الثقافية) و التي أهتمت بالتفسير المادي للمجتمع البشري ، و اعتبرت الثقافة نتاجاً للتكيف مع ظروف بيئية معينة (٢٠)

كما أهتمت الدراسات الأخيرة في مجال الأيكولوجيا الإنسانية بإستثمار الموارد الطبيعية و تبيد مصادرها و زيادة عدد السكان و التلوث البيئي ، و كل ما

١٨- محمد الجوهري ، سعاد عثمان ، الدراسات في الأنثروبولوجيا الحضرية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ م ، ص ٧٦  
١٩- علي محمد مكاوي ، البيئة و الصحة - دراسة في علم الاجتماع الطبي - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ١٩٩٥ م ص ص ٤٤ ، ٤٥

20 - F. Allan Hansan , Meaning in culture , first Published by Routledge & Kegan Paule London , 1975 , p.p 4 , 5 .

تنتجها الأرض من حياة برية و مناظر طبيعية و كل ذلك يجسد الاهتمام بالجنس البشرى<sup>(٢١)</sup>

وتعد الواحات البحرية إحدى الواحات الخمس التي تشكل الصحراء الغربية التي تمتد إلى الغرب من إقليم الوادي و الدلتا ، و تبلغ مساحتها نحو ثلثي مساحة جمهورية مصر العربية ( ٦٨١ ألف كم ) مكونة الركن الشمالي الشرقي للصحراء الكبرى ، يقع معظمها دون ٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، وإن كانت ترتفع في جنوبها الغربي حيث تعلو هضبة الجلف الكبير إلى ما يزيد على الألف متر ، بل و يزيد شرق العوينات على الألفي متر ، و تتحدر هضبة الحجر الرملي إنحداراً هيناً من الجلف الكبير باتجاه الشمال إلى منخفضات الخارجة والداخلة ، وتبدأ بعدها حافة الهضبة الجيرية التي تتحدر بدورها نحو الشمال و تظهر فيها أيضاً منخفضات الفرافرة و البحرية ، ويظهر بالقرب من النيل منخفض الفيوم الذي ينخفض إلى ما دون سطح البحر و يعتمد في ريه على النيل ، وبالقرب من البحر المتوسط ، حيث تمتد التكوينات الجيرية تظهر منخفضات سيوة والقطارة، وهذا المنخفض الأخير يعتبر أكبرها مساحة ، فمساحته تقل عن ٢٠ ألف كيلومتر مربع ، وينخفض إلى ١٣٤ متراً تحت سطح البحر ، و يتميز سطح الصحراء الغربية بأنه صخري أحياناً و رملي أحياناً أخرى و يشتهر بصفة خاصة بكثبان الرملية الضخمة ، خاصة تلك التي تمتد من واحة سيوة إلى الجلف الكبير و تعرف ببحر الرمال العظيم ، و من الكثبان ما يتخذ شكل الخطوط الطويلة المتوازية التي تمتد لعشرات الكيلو مترات و إن كان عرضها لا يزيد على عشرات الأمتار ، و أشهر هذه الغرود ألى المحاريق الذي يمتد من دائرة عرض الواحة البحرية حتى منخفض الفيوم و يبلغ طوله ٣٥٠ كم و يعتقد أن غرود الرمال تتقدم بمعدل عشرة أمتار كل عام مما يضر الزراعة في الواحات ، ولذلك نجد الاستقرار قليل و نادر في بقية الصحراء الغربية باستثناء الواحات ، ويعيش مجتمع الواحات عيشة اكتفاء ذاتي على زراعة التمر و القمح و الشعير<sup>(٢٢)</sup> .

يقع منخفض الواحات البحرية في وسط الصحراء الغربية و يتكون من مثلثين مساحتهما ٢٠٠٠ كم أي حوالي ٥٠٠ و ٥٠٠ فدان تتخللها تلال وهضاب و كانت تعرف في النصوص المصرية القديمة بإسم ( جسجس ) ورد ذكرها في المصادر العربية " واح البهنسا " على إعتبار أن قرية البهنسا ( إحدى قرى محافظة المنيا و تتبع بني مزار ) كانت تقع على رأس الطريق الذي يربط الواحة بوادي النيل ، و تضم الواحة العديد من المناطق الأثرية من العصر الفرعوني و العصور

<sup>21</sup> - Smith , W.H : the relation of theory to research Stratigies of social research , " Macmillan dictionary of . Anthropology " Macmillan Reference Books, 1987 . p . 62 .

<sup>٢٢</sup> - محمد عبد الغنى سعودى ، مصر - الإنسان و المكان - المجلس الأعلى للثقافة - ٢٠٠٦ م ص ص ٩٢ ، ٩٤ .

التالية و من أهم المناطق الأثرية منطقة القصر التي عثر فيها على معبد من عهد الملك (واح إيب رع) أحد ملوك الأسرة ٢٦ كما عثر على آثار أخرى لملوك و أفراد من عهد هذه الأسرة و كان هناك قوس نصر من العصر الروماني ، و من أهم آثار الواحة البحرية أطلال معبد الإسكندر الأكبر الذي يقع في منطقة قصر المقيصبة ، و فرعين المفتلا بالقرب من القصر ، عثر على مجموعة من المقاصير المكرسة للآلهة آمون و موت و خونسو و غيرهم ، أقامها أحد الكهنة في عهد الملك أحمس الثاني من ملوك الأسرة ٢٦ ، كما تعد منطقة الباويطى و التي عثر فيها على مقبرة لشخص يدعى " امنحتب " الذي كان حاكماً للواحة في الفترة من بين النصف الثاني من الأسرة ١٨ و النصف الأول من الأسرة ١٩ ، بالإضافة إلى مناطق أخرى منها قرية الفررجى و جبل المنديثة و الجفرة و قصر محارب و الحارة و عين الوالى و أخيراً الحيز و التي تضم بعض الآثار الرومانية و مجموعة من المقابر المتأخرة و كنيسة تؤرخ للفترة ما بين القرنين الرابع و السادس الميلادى (٢٣) . و يروى الأهالى أن الواحات البحرية قديماً كان يطلق عليها قديماً (البهنسة) وتعنى الواحة الشمالية ، و عندما جاء على مبارك أطلق عليها الواحات البحرية لأنها تطل من الجهة البحرية لوادى النيل ، و لذلك تتميز بأن جوها معتدل حتى فى فصل الصيف الذى ترتفع فيه درجات الحرارة .

#### الثقافة و المكان — المفهوم و العلاقة و الآثار : —

لقد كانت مصر ( أول أمة ) فى التاريخ القديم نمت فى نفسها عناصر الأمة بمعناها الكامل الصحيح ، فهى تملك الموقع و الموضع ، فالموضع الجغرافى هو البيئة الطبيعية المحلية داخل مصر نفسها — شكلها و طبيعتها ووزنها ، فهى كواحة فيضية تستقطب حول النهر ، قد تجانست بشرياً و توحدت سياسياً منذ البداية ، كما تعد قوة إنتاجية سخية و إكتفاء ذاتى تقريباً و قوة بشرية نادرة قوامها الكثافة لا المساحة و كانت الصحراء ( الرحم الجغرافى ) الذى ولد فيه هذا الموضع ، ثم ( الدرقة ) الطبيعية التى حمته جميعاً بعد ذلك (٢٤) .

و يرجع أصول سكان الواحات البحرية شأنها شأن كل الواحات المنتشرة فى الصحراء الغربية ، بأنهم خليط من سكان الواحات القدماء الذين اعتنقوا الدين الإسلامى بعد الفتح و انتشاره فى ربوع شمال أفريقيا مع اندماجهم ببعض القبائل العربية التى جاءت منذ الفتح الإسلامى من شبه الجزيرة العربية ، هذا بخلاف بعض القبائل العربية التى جاءت من غرب أفريقيا و امتزجوا عن طريق الزواج أو المصالح

٢٣- محمد عبد الحميد ، قطرة الماء فى الصحراء الغربية ، مطبعة الجبالوى ١٩٧١ م ، ص ١٥٧ .  
٢٤- جمال حمدان ، شخصية مصر — دراسة فى عبقرية المكان — الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١ م ص ٩٣ .

الاقتصادية ، حيث لعبت التجارة دوراً كبيراً في تكوين المجتمعات الصحراوية في مصر حتى القبائل التي جاءت من جنوب مصر ( السودانية ) من خلال طريق التجارة القديم ( درب الأربعين ) هذا بالإضافة إلى وجود اليوناني الروماني و الذي كان يعتبر مصر بصفة عامة و الصحراء الغربية بصفة خاصة مخزن غلال لروما حيث كانت تغطي روافد النيل الصحراء الغربية مما جعلها من أخصب الأراضي الزراعية ، هذا الأمر دعى بعض الجماعات اليونانية والرومانية أن تستقر في بعض الواحات و منها الواحات البحرية ، وأصبحت بعض قراها مثل ( منديشة — القصر ) منطقة تركز لها مما دعى إلى الزواج من نساءها .

كانت البداية الحقيقية لملكية الأراضي هي الاقطاع و المقصود بذلك أن العائلات الأصلية المكونة لمجتمع الواحات هي التي تملك فقط أما عدا ذلك فلا يملك الآخرين الذين وفدوا إليها منذ زمن بعيد ، كما تتميز الأرض الزراعية في الواحات بأنها مغلقة ومحدودة على العائلات التي تملكها فقط لأنها أرض صغيرة المساحة وفقاً لكميات المياه الجوفية - حيث ترتبط المساحة المنزرعة بحفر الآبار التي يشترك فيها كل أفراد العائلة . ويعنى ذلك أيضاً أن هذه المساحات المزروعة لم يصيبها قانون الإصلاح الزراعي و لم يستفيد من لا يملك بهذا القانون .

#### عائلات الواحات البحرية :

يروى المشايخ و كبار السن بالواحات البحرية أن أصل عائلات الواحات البحرية يرجع إلى عائلة ( داود ) الذي انحدر منها عائلات ( دردير - أبو خشية - أبوصادى ) وهي عائلات مسيحية وكانت من اول العائلات التي دخلت في الاسلام ، ويوضح الرسم بالخريطة الجينالوجية .

#### وتتوزع العائلات الرئيسية على بعض القرى كالتالى :

- الباويطى : ( الحوفاة - مال الدين - البدرمانى - البطالين ) .
- القصر : ( الترهونى - سالم - الغربيين - وعائلة القضاة التي يمتد أصلها إلى الفوائد نسبة لقبيلة الفايد من فروع أولاد على المنتشرين بالساحل الشمالى من غرب الاسكندرية حتى ليبيا) وسموا بهذا الاسم لأن الجد الأكبر (بديربن فايد ) قضاة العرب فى الصحراء الغربية وعندما أتجه الى الصحراء الغربية منذ زمن بعيد استوطن قرية القصر بالواحات البحرية .
- قرية المنديشة : ( عائلة أبو ليفه و يرجع أساسها إلى العصر القبطى فهم يدينون بالديانة المسيحية - عائلة الحاج جاد - الشاملى ) .
- قرية الزبو : ( عائلة عمار - العسقلانى ) .
- قرية الحارة : ( عائلة عبد الحليم ) .

ويتكون بقية أفراد المجتمع من ( الخدم ) حيث كان يطلق عليهم هذا اللفظ باعتبارهم مزارعين في الأساس ثم يخدمون بقية العائلات الكبيرة المالكة للأرض الزراعية و يقوم بالخدمة في العائلات الكبيرة الفقير الذي لا يملك فقد يقدم خدماته للعمل داخل الأرض الزراعية و المنازل على اعتبار أن أجداده أو آبائه كانوا يملكون ولهم أنصبة في الأرض الزراعية و مياه الآبار ولكنهم باعوا ما يخصهم ، أما ابن العم الذي مازال يخدم في الأرض يحق له أن يملك أراضى فضاء ويساعده على ذلك رؤساء العائلات من العمومة ، أما في حالة عدم ملكيته فمن حقه أن يستفيد بالمحصول بعد العمل الزراعى فيها و مقابل ذلك يحصل على الثلث من المحصول الموسمى والربيع فى محصول النخل و الشجر المثمر .

و هناك المهن الأخرى المساعدة فى الواحات مثل ( الحدادين - الحلاقين و النجارين ) فكان من حقهم الحصول على أنصبة معينة و منفق عليها أثناء الحصاد فى مقابل العمل لدى هذه العائلات طوال العام .

و من خلال الدراسة الميدانية ، يؤكد البعض من أفراد المجتمع أنه فى الآونة الأخيرة يعد نمط النشاط السياحى الذى ظهر على السطح دافع لظهور (فئة النصابين) كما يقولون والمقصود بهم الخدم الذين لا يملكون الأرض وحدثت لهم الهجرة قبل دخول هيئة تعمير الصحارى للواحات .

و عندما عاد هؤلاء الخدم كمهاجرين من وادى النيل و المحافظات الأخرى والذين كانوا يعملون ( الأعمال الهامشية و المتدنية) تمكنوا من العمل فى الوظائف الحكومية التى تأسست بعد ذلك فمنهم من عمل فى أعمال بسيطة مثل ( الحراسة أو أعمال النظافة ) و منهم من استكمل دراسته فى وادى النيل و عمل فى الوظائف الإدارية فى مجالس المدن و القرى و هكذا ، فكان عليهم أن ينتهزوا الفرصة لكى يتكسبوا من وراءها حتى ولو بضعة قروش - ويؤكد أفراد المجتمع من العائلات الكبيرة أن الواحاتى الذى له أصل و أساس فى المنطقة منذ زمن بعيد ويملك أراضى لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يفرط فى شبر منها أو ما فيها من كنوز و يسترسل أحد الإخباريين بأن هذه الزمرة ( النصابة ) لا تنتمى للمجتمع أو الأرض التى ولدوا عليها أو تربوا فيها و لذلك يبيعون كل ما فى الأرض و ما عليها لمن يدفع الثمن حتى ولو بضعة دراهم أو قروش لا تثمن من جوع أو تروى من عطش .

قضية الوطنية و الإنتماء المرتبطة بالأرض و التمسك بها و ما عليها وما فيها من كنوز ، تفجرت بشكل مخيف و معلن للعالم و داخل مصر لأنها ارتبطت ببيع مساحات كبيرة من الاراضى فى الصحراء الغربية بصفة عامة والبحرية بصفة خاصة، فهو امر لافت لانظار المستثمرين من داخل مصر وخارجها بهدف إنتعاش الاقتصاد المصرى ، و هذا الغرض يعد ظاهريا للعامة أما الغرض الخفى غير المعلن هو أن أرض الواحات البحرية مليئة بالآثار و من هنا فقد يحلق الخطر فى كل ثانية

على الآثار القابضة تحت هذه المنازل أو الموجودة بالفعل تحت الأرض التي يملكها غيرهم من العائلات الكبيرة ، حيث يملكون مساحات شاسعة تبلغ آلاف الكيلومترات ، وقد تننى للباحثة من خلال العلاقات القوية للعائلات والأهالي معرفة هذه الحدود الشرقية و الغربية و الشمالية و الجنوبية من مسميات الجبال المشهورة بالوحدات فهي تعد الحدود المعروفة لأراضى العائلات، وكلها أراضى وضع يد ليست موثقة أو مسجلة ولكنهم يملكونها ويبيعونها للغير بعد الموافقات الرسمية من خلال ما يسمى (بصحة التوقيع) .

فالخطر الدايم الآن ، هو تكامل العناصر الأساسية للقضاء على الشعور بالإنتماء و الهوية وهو بيع الأراضى من قبل الخدم ( فئة النصابين ) كما يطلقون الأهالي لأراضى ليست فى حوزتهم أو يملكونها كما للعائلات الكبيرة ولذلك يتصنعوا بملكيتهم للأغراب الذين لا يعرفون شيئاً ويبيعون لهم الأراضى بالمستندات المزورة ومن هنا يقع المشترون فريسة لهؤلاء على اعتبار أنهم ( أبناء عمومة لهذه العائلات و لهم فى الأرض باعتبارهم وارثين لها ) مستندين فى ذلك إلى تشابه الأسماء و الألقاب و من هنا تحدث المشكلات مما يثير الأحقاد بصورة معلنة ومفجعة لبقية الأهالي ، حيث وقعت أربع حوادث قتل و لأول مرة فى تاريخ المجتمع الوحاتى بسبب الأرض والتكسب منها فى قرية القصر ، وفى حادثة منها تسنى للباحثة رؤية العين لما حدث من العائلتين التى تتشاجر أحد أشخاصها مع شخص من العائلة الأخرى بسبب ملكيته للأرض دون ما يثبت ذلك أو بدون مستندات و هى ( صحة التوقيع كمستند من المحافظة و مجلس المدينة ) لإثبات الملكية الخاصة لها - حيث لا يوجد فى أراضى الوحات سند الملكية الخالص لأنها كلها أراضى وضع يد مثلها فى ذلك مثل كل أراضى الصحراء بمصر .

ويؤكد بعض الاخباريين أن الارض الموروثة لا يمكن التخلي عنها نهائياً بالبيع لأنها شئ مقدس لايمكن التفريط فيه ، فإذا تم البيع بنسبة ضئيلة يكون ذلك من خلال المشاركة الاقتصادية بين صاحب الارض والمستثمر (الغريب)، حتى لا يشعر الوحاتى بأنه تخلى عن أرضه بشكل نهائى فهذا الامر يفقده هيبته ومكانته الاجتماعية وهذا يعد تواجداً معنوياً هاماً فى حياة المواطن او الفرد ليؤكد على أنتمائه لأرضه ومن ثم لوطنه ولذلك لا يمكن التحدث عن المواطنة فى ظل غياب الدولة أو فى ظل دولة تشهد أشكالاً من التحلل والتفكك أو عدم تطبيق القانون.

كما تسنى للباحثة أيضاً معرفة حادثة أخرى و كانت أول حادثة من نوعها فى الوحات البحرية منذ أبريل ٢٠٠٧ م و هى عملية نصب فى بيع مساحة كبيرة من الأراضى تصل إلى ١٠ آلاف كيلومتر تم بيعها لبعض المستثمرين من أخ لا يملك شبر فى أرض أخيه الذى اشتراها بأمواله الخاصة و كانت هذه العائلة المهاجرة قبل الخمسينات و التى كان يطلق عليها ( الخدم ) .



### السياحة والجريمة — المفهوم و العلاقة و الآثار :—

ظهرت السياحة في الواحات البحرية في أواخر السبعينات و أوائل الثمانينات من خلال شركات السياحة بجنوب سيناء ، حيث الرغبة من الأجانب .  
و في عام ١٩٨٣ م فكر أحد أبناء الواحة و يدعى ( صالح شريف و أخيه متولى شريف ) و هم من عائلة الحوفاء و هي من أقدم العائلات الأصيلة و قام ببناء أول فندق في عام ١٩٨٨ م وهو عبارة عن شقة بسيطة تستقبل الأفواج الأجنبية حتى وصل الأمر لديه إلى بناء مبنى جديد كفندق به المواصفات المطلوبة لاستقبال الأفواج السياحية في عام ١٩٩٠ م و تلاه فندق آخر باسم ( سفارى ) و جاء شخص آخر يدعى(بيتر) و هو ألماني الأصل و كان في البداية سائحاً يزور الواحات البحرية لأكثر من مرة في العام هو و زوجته ووالدته وعندما جذبته الصحراء الغربية و الطبيعة الخلابة التي تتمتع بها الواحات البحرية ، قام ببناء فندق على مستوى عال من الفندقة يختلف عن المباني الأخرى التي سبقته و التي أقامها الواحاتية بأنفسهم لأنهم ليس لديهم الخبرة المطلوبة في العمل الفندقى و السياحى، وهكذا توالى البناءات كفنادق سياحية .

### مقومات السياحة في الواحات البحرية (أنظر اللوحات في الخلف) :-

تنقسم السياحة في الواحات البحرية إلى نوعين : النوع الأول زيارة المواقع الأثرية و تضم المتحف الأثرى و الذى يتكون من قاعة العرض الزجاجية بها ست موميאות ذهبية من العصر الرومانى و التي تم العثور عليها فى منطقة الكيلو ٦ (الجبانة ) فى طريق الفرافرة و تشير البعثة الأثرية التي قامت لدراستها بأنها تضم حوالى ١٠ آلاف مومياء ذهبية ترجع للعصر الرومانى اليونانى ، ثم قاعة المخزن المتحفى و هى تضم العديد من الآثار و الأحجار المنقوش عليها منذ هذين العصرين ، كما يوجد العديد من النقود الرومانية بجانب الموميאות .

— منطقة مقابر يوسف سليم و سميت بهذا الاسم لوقوعها بجوار القصر الخاص بالمأمور البحرى يوسف سليم خلال فترة الستينات و بها العديد من المقابر التي تنتمى أيضاً للعصرين الرومانى اليونانى ، توجد مقبرة بانينتيون الذى يعد كبير التجار فى الأسرة ٢٢ و تعد هذه المقبرة نموذجاً يطابق مقابر المصريين القدماء بها رسومات تشير إلى فكرة الحساب و دفن الموتى .

— الكنيسة الرومانية و عصارة العنب فى طريق قرية الحيز و التي تبعد عن مدينة الباويطى العاصمة حوالى ٤٥ كيلو متر و بجوارها حصن حربى رومانى للجنود .

النوع الثانى من السياحة سياحة السفارى و هى زيارة المواقع الجغرافية المميزة للواحات البحرية و منها الصحراء البيضاء و هى تبعد عن الواحات بحوالى ١٦٠ كم و هى عبارة عن مجموعة من الصخور التي تعرضت لعوامل التعرية وأصبحت منحوتة على هيئة تكوينات جيوية تشبه ( عش الغراب ) كلها عبارة عن أشكال

مخروطية و أصبحت من المحميات الطبيعية لأنها على المدى البعيد سوف تتآكل بفعل سيارات السفارى التى تسير من فوقها و أيضاً التيارات الهوائية الشديدة التى تعمل على نحتها ، و هناك مشروع للحفاظ عليها من خلال وضع مصدات هوائية للمحافظة عليها من النحت ، كما يوجد جبل الكريستال الذى يتميز بتكوينه اللامع البلورى

و توجد فى الصحراء البيضاء و من ناحية الجنوب فى العمق عين مياه تسمى (عين خضراء) و مرتبطة بحكاية يعرفها الواحاتية و السائحون ، عند الاقتراب من العين تندفع المياه فى خروجها و عند الابتعاد عنها تنحسر المياه و قد تحقق من هذا الأمر العديد من السائحون الذين يفيدون إليها و عند أول قمة مرتفعة فى الصحراء البيضاء و على بعد ٢ كم شمالاً ترى نخلة قديمة فى وسط الصخور الجيرية رغم أنها بيئة غير ملائمة للزراعة و عندما تتجه للجنوب يوجد كف تتدلى منه أشكال تشبه دموع الشمع و هى دموع صخرية كما توجد عين مياه بالقرب منه تسمى ( الدلة ) ثم توجد عين أخرى للمياه الكبريتية تسمى (السرو) كما توجد أربعة أشجار شكلت اسم الله من الاتجاه الغربى من الصحراء البيضاء يأتى إليها السائحون العرب للنظر إليها لما شكلته من إبداع آلهى ، وعند العودة للواحات البحرية تجد منطقة تسمى (العقبات) يطلقون عليها الواحاتية (العجبات) تحتوى على صخور متناثرة كبيرة تشبه الخيام المنصوبة ، هذا بالإضافة إلى بحر الرمال الأعظم و هضبة الجلف الموجودين فى الجانب الغربى الجنوبى من الصحراء الغربية ، كما توجد الصحراء السوداء التى تكونت بفعل عوامل التعرية يتناثر عليها بعض التكوينات الصخرية السوداء التى تشبه الورود الصغيرة و لذلك تسمى بورد الصحراء ، أما المواقع الطبيعية و التضاريسية المخصصة للسياحة داخل الواحات البحرية فهى جبال (الدست و المغرفة) ، (جبل الإنجليز) الذى كان يعد وقت الحرب العالمية الثانية مركزاً حصيناً و حماية للإنجليز من جهة الغرب و هذه الجبال تقع بين قرية العجوز و منديشة ، كما توجد بعض العيون الرومانية الكبريتية بمناظرها الخلابة ووظيفتها الإستشفائية حيث تعد السياحة الإستشفائية من أهم السياحات فى المنطقة للسائحون للأجانب والعرب و المصريين و من هذه العيون (عين البشمو — المفتلة — بئر المطار — بئر ٦ — بئر سيجام ) ،ويوجد بجوار عين المفتلة معبد هرقل .

وتتميز منطقة الواحات البحرية بنوع آخر من أنواع السياحة وهو سياحة السباقات (رالى الفراغنة)،(رالى باريس)،(رالى الأقصر) يبدأ من الهرم الى واحة البحرية وهذه النقطة هى نقطة تمرکز يمر بها السباق ،وتعد البحرية المركز الاساسى للمخيمات - ولكل عام شركة مخصصة لتجهيز مراحل الرالى -على سبيل المثال شركة تراكفو لصاحبها رامى سياج - وتستفيد الواحات البحرية فى هذا الصدد ببيع الطعام بكل انواعه لمدة أسبوع لمجموعات السباق كما كان يوجد فى القديم سباقات الحصان ولكنها

أنقرضت الآن اما سباقات الهجن ليس لها وجود ولكن يوجد سباق آخر للجرى سنويا يشترك فيه سائحين من فرنسا يبدأ من الهرم حتى الواحات البحرية حوالى ٣٦٠ كم .

تزدهر السياحة الدينية من خلال وجود النساء العابرات اللاتي يتعبدن (حيث يؤكد أحد المرشدين السياحيين و هو يعمل مدرسا للجغرافيا و من أبناء الواحات البحرية و من أوائل الشباب الذين دخلوا مجال السياحة منذ خمسة عشر عاماً مع أول فندق سياحي تم بناؤه منذ عام ١٩٧٨ م و يسمى - البمليك - نسبة لجبال الألب و أطلق هذا الاسم سائحا يدعى رينيه ميشيل ) واخذت هذه العبادة أشكال مختلفة منها الاتصال الروحي بين المتعبد والرب مع ترديد بعض الكلمات فى صمت ، أو التأمل لمدة ساعة ونصف الساعة ثلاث مرات يوميا منذ طلوع الشمس حتى الغروب ، كما توجد جلسات اليوجا باتجاه الشرق أو الغرب مع ترديد بعض الالفاظ والكلمات الخاصة بهم ، وتوجد عباده أخرى عن طريق الالوان وهى عبارة عن عدد من الزجاجات ، كل زجاجة بها سائل ذو لون مختلف يشبهون الوان الطيف - تأخذ العابده ثلاث زجاجات بها ثلاث ألوان وتبدأ تنتظر فى عيون الشخص الجالس أمامها وتقرأ ما يدور فى خلد من خلال الالوان مثل هذه الانواع من العبادات حتى يتم الشفاء من هذه الامراض ، وقد دلت الدراسة من خلال مقابلة إحدى الطبيبات المتزوجات بشاب واحاتى يبلغ من العمر ثلاثون عاماً ويبلغ عمرها الخامسة والسبعون عاماً فهى طبيبة علاج طبيعى وأعشاب طبيعية تستجلبها من الصحراء الغربية حتى منطقة الجلف الكبير على حدود السودان أثناء رحلات السفارى التى ترتبها للأفواج التى تأتى من أوروبا من خلال شركة السياحة التى تملكها هى وزوجها فهى تعالج أفراد المجتمع والأوروبيين بالأعشاب والعلاج الروحي وأيضاً بالطاقة الجسدية ، فعند الجزء المتألم تضع الطبيبة يدها وتطلب من المريض التركيز من خلال العقل ثم يتنفس نفس عميق ويطرده ويتم ذلك ثلاث مرات ثم يشفى المريض بأستخراج الطاقة الكامنة فى الجسم ، كما يتم العلاج عن طريق الدفن فى الرمال السخنة لأمراض العظام المختلفة حتى الأطفال فى عمر الفطام ضعاف البنية حتى تقوى العظام ، هذا بالإضافة الى الكى بالنار ويقوم به أحد شيوخ قبيلة الترهونى لعلاج عرق النسا والكليتين والمرارة والانزلاق الغضروفي وعلاج المزقة ، كما يتم العلاج بالأعشاب لبعض الامراض الخاصة بضيق التنفس والرئتين والصداع والبنكرياس وأمراض العيون .

ولقد ظهرت فى الآونة الأخيرة و بالتحديد منذ خمس سنوات ما يسمى ( بالخرتية ) وهم فئة يعملون بشكل غير مقبول أو لائق من وجهة نظر الواحاتية إذ يلتفون حول السائح عندما ينزل من الأتوبيس المخصص للسفر للواحات ويعرضون عليه رحلات السفارى وبأسعار أرخص من الفنادق و لو بخمسون جنيهاً و يقول أحد الإخباريين (العيال الخرتية يطلعوا مع الأجانب من برة برة ) و يحصلون على القروض من البنوك ويشتررون سيارات سفارى و يتفقون مع الشركات دون علم أصحاب الفنادق .

و أثناء المناقشات و الحوارات مع أصحاب الفنادق و المسؤولين في مكتب السياحة قام مدير مكتب السياحة بعرض قضية هامة في جريدة الجمهورية بتاريخ ٤ أكتوبر ٢٠٠٩ م بعنوان ( رمسيس للبيع — ٢٥ ألف جنيه ) وقد قام ببيعه شخصية بمنطقة الواحات البحرية بعد أن قام بسرقة ( حارس بمدينة البويطى عاصمة الواحات البحرية ) و يبلغ طوله ١٣ سم مصنوع من الذهب و في نفس الصفحة عنوان آخر حبس صاحب المنزل في نزلة السمان الذى دفع بـ ٦ أفراد من العمال للحفر في منزله عندما تأكد أن في أسفله كنز من الآثار وموميوات ذهبية حتى تهدم المنزل على العمال و قضى على حياتهم .

و في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ٢٠٠٩ م خبر يفيد بضبط ١٣٨ قطعة أثرية نادرة بحيازة مزارع في المنيا كان يحاول ترويجها و بيعها - و خبر آخر في نفس الصفحة القبض على ثلاث لصوص و بحوزتهم ٢٢٧ قطعة أثرية نادرة من الأقصر و حضورهم لمحافظة ٦ أكتوبر لبيعها .

أكد بعض العاملين بالآثار في منطقة الواحات أن بداخل المقابر نوعاً من البخور المميز غالى الثمن يصل الجرام منه بخمسة آلاف من الجنيهات وعندما جاء شخص يريد هذا النوع من البخور و طلب حوالى ٣ جرام منه ظهر عدد من المشتغلين بالآثار و أقنعوه بأنهم سوف يحصلوا عليه و اتفقوا مع بعض الأشخاص الآخرين بأن يتواجدوا عند نقطة التفتيش و أوهموا الرجل بأنه تم التخلص من البخور في الصحراء حتى لا يقبض عليهم ، و كانت هذه الحادثة أول حادثة نصب قام بها هؤلاء الواحاتية .

و هذه القضية كانت الشغل الشاغل للباحثة في الأوقات الأخيرة خاصة عندما أثير الجدل في أكثر من جلسة حوارية مع أفراد المجتمع في ظهور بعض الآثار و عرضها للبيع و الوصول إلى مبالغ خيالية بالنسبة للواحاتى البسيط القانع بما في يده و الذى لم يكن يهتم بها في الماضى حيث كان الواحاتى لا يلقى بالأل هذه الآثار و عندما يعثر عليها بمحض الصدفة من خلال الحفر في العمل الزراعى أو حفر الآبار الجوفية فكان يسارع بتقديمها لهيئة الآثار أو أن يتركها لأبنة الصغير لكي يلعب ويلهو بها و يطلق عليها ( شخوص ) و لا يعرف قيمتها المادية على الإطلاق حيث كان يعيش الواحاتى آمن بصفة مستمرة منغمس في بنائه الاجتماعى بكل نظمه و الذى يعمل على أشباعه للأحتياجات الأساسية فقط من العيش و عندما ترددت الأفواج السياحية و ظهور الوافدين في حياة الواحاتية و ظهرت معهم ثقافات أخرى مغايرة تقوم على المنفعة المادية و تبادل المنفعة و لذلك حرص الوافد أو الأجنبى على اقتناء هذه الآثار أو بيعها للإتجار بها كسلع مطلوبة في الخارج و منذ هذه اللحظة تحول بعض الواحاتية ( و التى يؤكد أصحاب الأعمال و العائلات الأصيلة أنهم فئة الخرتية و النصابين الذين ظهروا في الآونة الأخيرة ) للإستفادة من عمليات النصب و بيع الأراضى و الآثار ، هم الذين يبيعون آثار بلدهم و يتاجرون بوطنيتهم و تراثهم و هويتهم .

تمر الأمة المصرية بلحظة فارقة في تاريخها ... لحظة تزامنت فيها العديد من التحديات الداخلية والخارجية غير المسبوقة ، فعلى الصعيد الداخلى يمثل الإرتقاء بمستويات معيشية أغلب قطاعات الشعب المصرى ، الذى يتزايد عدده ويرتفع مستوى تطلعات أفراد ، واحداً من أهم هذه التحديات ، كما يمثل إشاعة وتفعيل "ثقافة المواطنة" تحدياً آخر من التحديات الأخرى التى يواجها المجتمع المصرى ، اما على المستوى الخارجى فتعرض الأمة المصرية لهجمة شرسة تسعى لإستلاب مكونات قوتها الناعمة " التى تمثل الإنتاج الثقافى المصرى بشتى صورته واحداً من أهم مكوناتها ، وهى القوة التى كانت واحدة من أهم عناصر قدرتها على التأثير والتفاعل البناء مع محيطها الخارجى إقليمياً كان او عالمياً . (٢٥)

#### السياحة و منظومة القيم - الملامح و المحددات :

تنهض المواطنة على مجموعة من القيم الأصيلة ، هذه القيم تتمثل بصفة عامة فى (المساواة - العدل - الحرية - الإلتزام - الأستقلالية - التوازن) هذه القيم تمثل القاسم المشترك الأعظم بين مختلف المجتمعات و أغلب الثقافات وقد تختلف ترجمتها من الناحية التطبيقية من مجتمع لآخر ، فالمساواة تعنى الحصول على عوائد التنمية وقد تعنى أيضاً المساواة أمام القانون و الحقوق والواجبات . (٢٦)

مع مظاهر البطالة المتفشية فى العالم كله بوجه عام و مصر بوجه خاص خاصة المناطق النائية بها مثل الواحات ،وعندما بدأ النظام الأقتصادى ينتعش فى مجال البترول ، ظهرت بعض شركات البترول فى الصحراء الغربية التى أستعانت بخبراء أجانب و عمالة أجنبية ثم أستعانت ببعض العمالة الواحاتية التى أحتلت مكانة متدنية من حيث المرتبات والأجازات حتى الوجبات الغذائية المقدمة لهم ومن ثم الإقامة التى تعد خيام غير مجهزة فى مقابل الكرفانات المجهزة للأجانب مما يؤكد على أن هذا الاجراء يعد مؤشراً فى مضمونة ينال من الشعور بالوطنية والانتفاء وفى ظاهره يؤكد على مشاركة أبناء الواحات البحرية فى النظام الأقتصادى و بنظرة خاطفة على تاريخ الواحات و سكان الصحراء الذين كانوا يعانون من قلة فرص العمل منذ زمن بعيد ، و كانت الواحات فى ذلك العهد يحكمها الحاكم العسكرى ، أو مأمور القسم و الذى لديه سلطات واسعة فهو الذى يحكم على الأهالى و الخارجيين عن النظام و أيضاً ينفذ الحكم عليهم و لذلك ظل المجتمع الواحاتى يعانى الكبت و الظلم والاستبداد فترات طويلة .

ومن مظاهر القيم الأخلاقية الحميدة و التى كان يتصارع أبناء الواحات على إبقائها و العمل على حمايتها من الإندثار حيث كانت تعمل على تماسك أفراد المجتمع و ذلك بأنه فى حالات الوفاة لا بد وأن تلغى الأفراح حتى بعد تحديدها و تجهيز كل

٢٥- السيد نصر الدين السيد، ثقافتنا المعاصرة :التوجهات والتحديات، مرجع سابق، ٢٠٠٨م ص ١ .  
٢٦- منى مكرم عبيد ، المواطنة ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

ما يلزم لها و حتى بعد دعوة أفراد المجتمع للحضور ، ولا يمكن السماح لأحد الأفراد حتى ولو كان صغيراً أو كبيراً أن يستمع للراديو .

ويؤكد أفراد المجتمع انه أصبح الشباب الآن متواكلين لا يسعون للرزق كما كان قديماً في مهنة الزراعة مهنة الأجداد و يتكالبون على العمل الذى يقدم لهم رزقاً سريعاً فى وقتاً قصيراً كما كانت تنتشر بينهم سمة أصيلة هى حماية بعضهم البعض و الخوف عليهم من المجهول و مع زيادة الوافدين إليهم ظهرت العديد من الاخلاقات اليومية التى قضت على العلاقات الطيبة فيما بينهم حيث كانت أحاديثهم اليومية تدور حول عباداتهم الدينية المختلفة فلا يتم ذلك الآن إلا داخل المساجد أثناء تأدية الصلاة فقط .

و من الأمثلة الأخرى التى كانت فى الماضى تؤكد على احترام القيم الاجتماعية و الأخلاقية بين أفراد المجتمع ،فى حالة ركوب أى شخص على ظهر دابته و تصادف رؤية أحد الأشخاص يمشى على قدميه أثناء سيره فكان من الواجب عليه أن ينزل من على ظهر دابته تادباً واحتراماً لهذا الشخص و لا يمكن أن يسمح بإطلاق لفظ خارج أو غير مهذب بين الناس فالجميع يحترم بعضهم بعضاً وقد يرجع أفراد المجتمع تأخر هذه القيم و الابتعاد عنها من خلال نظام التعليم و يقولون فى ذلك (التعليم أخرج القيم) جعل الشباب يتناولون على كبار السن بأحاسيسهم بذاتيتهم التى تميزت عن غيرهم بالمعرفة المختلفة التى تلقوها من خلال النسق الثقافى الوافد عليهم بعد أن كان التعليم قديماً محدوداً داخل الكتاتيب من القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن العشرين و بالتحديد فى سنة ١٩١١ م .

و من مظاهر القيم الأخلاقية الواحاتية التى إندثرت فكرة التضامن القوى بين أفراد المجتمع قديماً إذ أن الأهالى كانوا يكون عندما يسافر أحد الأشخاص للعمل فى الوادى أو الدلتا و أولادهم الذكور الذين يسافرون فى مدن الصعيد لتلقى التعليم الإعدادى والثانوى خوفاً عليهم وقد يرجعون ذلك إلى أن الطرق المؤدية إلى هذه المدن غير ممهدة و ترابية و لاتوجد وسائل مواصلات إلا نادراً و لذلك كان البكاء خوفاً على هؤلاء الأشخاص من التوهان فى الصحراء .

كل هذه المقومات تعد مقومات المواطنة التى تؤكد عليها الدراسة ، فالمواطنة فعل يمارس فى الحياة اليومية له أسس و قيم و لا تمارس بشكل عشوائى و انما من خلال مرجعيات إما قانونية مؤسسية أو مرجعيات قانونية عرفية تنظم حركة المواطنين تتضمن المشاركة و المساواة بحيث ان لكل مواطن الحق فى إدارة مجتمعه أو جماعته التى ينتمى إليها ، له نفس الحقوق و عليه نفس الواجبات و الالتزامات .

وقد يشير أحد أفراد المجتمع بأن إندثار القيم الاجتماعية جاء عندما قامت هيئة تعمير الصحارى فى تسوية الأرض و تمهيدها وانتهت من وضع الأسفلت عليه حتى القاهرة العاصمة للأنقاع من مناجم الحديد و القيام ببعض المشروعات الإنتاجية التتموية فيها ، ولكن القفزة الواضحة فى هذا الإندثار والتغير الذى أصاب البناء

الاجتماعى و القيمي للوحدات جاءت منذ العشرين عاماً الأخيرة و التي ارتبطت بالعمل السياحى و الإهتمام به من قبل بعض أفراد المجتمع و أصبحت الاحتياجات أكثر من الإمكانيات و الطموحات عالية وكبيرة، و أصبح التعليم كأستثمار ليس له مردود على الأباء الذين انفقوا ما لديهم أملاً فى إلحاق أولادهم بالعمل الحكومى و يقول أحد الأخباريين ( كان زمان يعيش خمسة أسر فى منزل واحد و كانت صور التعاون و الحب و المشاركة فيما بينهم واضح أما الآن ظهرت نوازع الاستقلالية و خاصة لدى الشباب أصبح لها تأثير واضح زرعت فينا حب التملك و الأنانية - كان الكل يأكل على طبلية واحدة - و كان سيف المعز فى يد الأب و الأبن عليه طاعة الأب و لذلك كان هناك التزام بالقيم و يمكن ده راجع للعزلة التامة التي كنا نعيش فى كنفها - أما الآن من لا يملك يريد أن يملك و من أجل هذا الهدف عليه أن يفعل أى شئ - فالبطالة جعلت مفيش أحد يستحى من العيب ) ، و هذا القول من أحد الاخباريين كبار السن .

يشير أفراد المجتمع الواحدى منذ خمسة سنوات فى منطقة الحيز— و هى إحدى القرى كثيرة العدد و المكونة لمدينة الواحات البحرية — ظهرت فئة كان يطلق عليها قديماً ( البجم ) و كانوا يعملون ( خدامين ) للعائلات الكبيرة المالكة لأراضى الحيز ، هذه الفئة هاجرت قبل ظهور هيئة تعمير الصحارى لوادى النيل و بعد أن حصلت على تعليمها و رجعت مرة أخرى للمجتمع فى الآونة الأخيرة ، باعوا الأرض للمستثمرين وعندما طلبوا منهم حماية الأرض فى غيابهم عملوا لديهم خدم مرة أخرى ليحموا أراضيهم ولذلك شعر الأهالى بعدم الأمان و أطلقوا عليهم ( البلطجية) يعبر أحد الاخباريين عن ذلك بالقول (الأرض الموروثة لا يمكن التخلّى عنها أما الأرض التي أخذناها بالذراع أى أشتريناها يمكن أن تباع لشراء أخرى أو عمل أى مشروع آخر ) ، كما يعبر أيضاً بالقول أن (عقوق الوالدين ينطبق على عقوق الأرض) و يستكمل القول بأنه (الحمد لله تعد هذه النسبة ١ فى الألف فقط) .

فالشباب الذين لا يملكون لا يوجد لديهم الإلتناء للوطن أو الشعور بالمواطنة اتفق كبار السن بالوحدات البحرية على أن الظروف السياسية والاقتصادية والفضائيات لغوا المواطنة فى نفوس شباننا .

لذلك تشير المواطنة إلى الحقوق التي تكفلها الدولة لمن يحمل جنسيتها والالتزامات التي تفرضها عليه و من المنظور الاقتصادى و الاجتماعى يقصد بالمواطنة ، إما اشباع الحاجات الأساسية للأفراد بحيث لا تشغلهم هموم الذات عن أمور الصالح العام

، أو التفاف الناس حول مصالح و غايات مشتركة بما يؤسس للتعاون و التكافل و العمل الجماعي المشترك<sup>(٢٧)</sup> .

تميزت السنوات الأولى من الألفية الثالثة بخطوات سريعة نحو التغيير كانت أسرع عن ذي قبل وعلى نطاق واسع ، فالعالم يستفيد من التكنولوجيا السريعة و من الفرص التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ من أجل التخفيف من حدة الفقر ، هذا بالإضافة إلى عدم التوازن الحالى و التغييرات الاقتصادية السريعة سواء على المستوى العالمى أو المحلى ، و من هنا فإن الارتفاع الحاد فى البطالة فى المجتمع المصرى بين الشباب سواء كان من المتعلمين أو غير المتعلمين كان من المظاهر التي أشارت إليها أصابع المهتمين و المتخصصين فى النواحي الاقتصادية و الاجتماعية فإنها من نتائج العولمة التي أثرت على سوق العمل ونوعيته و انعكاس ذلك على فرص العمل المتاحة مما أدى إلى تزايد مخاطر انعدام التوازن الاجتماعى و الذى يسهم فى زعزعة الاستقرار السياسى والاجتماعى .<sup>(٢٨)</sup>

ولذلك تعد السياحة ركيزة أساسية من ركائز النشاط الاقتصادى فى مصر باعتبارها صناعة كبرى و نشاط استثمارى نظراً لما تتمتع به مصر من مقومات جذب عديدة من حيث الموقع الجغرافى و المناخ المعتدل و الآثار التي أخذت شهرة عالمية .<sup>(٢٩)</sup> وإذا كانت السياحة مجالاً جديداً كنشاط إقتصادى يسعى إليه الشباب الذين يعانون من البطالة بكل صورها ، فأصبحت البطالة هى الدافع لعدة أمور أثرت على قضية الإلتئام و المواطنة و الشعور بالهوية لدى شباب الواحات البحرية - لأنها تعد الأساس فى البحث و الحفر عن الآثار و بيعها للسائح ، كما تعد أيضاً الدافع لعمليات النصب التي بدأت تظهر على حياة الواحاتية الأمنيين طوال حقبة زمنية و أيضاً عمليات القتل التي بدأت تظهر فى هذا المجتمع حتى وصلت لآن أربع حالات و هذا يعد مؤشراً خطيراً من شأنه تدمير البناء الاجتماعى للمجتمع الواحاتى ، و من خلال المقابلات و المناقشات ، أثارت الباحثة حوار حول تنمية الواحات و تطوير البنية الأساسية من خلال ما شاهدته من مشروع للصرف الصحى ، فمن المتعارف عليه أن هذه المجتمعات لم يكن لديها صرف صحى وهذه سمة المجتمعات الصحراوية ، و لكن مؤخراً شوهد أن الدولة بدأت ببعض المشروعات الخاصة بالصرف الصحى فى بعض القرى بمحافظة الوادى الجديد ثم الواحات البحرية خوفاً على إغراق الآثار الموجودة

<sup>٢٧</sup> - أنتونى جينز ،مقدمة نقدية فى علم الاجتماع "ترجمة احمد زايد وأخرون مطبوعات مركز البحوث الاجتماعية كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ص ٢٥٨

<sup>٢٨</sup> - سامية الساعاتى ، المرأة والتنمية بين الموروثات الثقافية والواقع المصرى "مؤتمر القمة الأول للمرأة العربية - المجلس القومى للمرأة" ٢٠٠٠م ص ٤٧٢ .

<sup>٢٩</sup> - منى مكرم عبيد ، المواطنة ، مرجع سابق ، ص ٩



بها و الذى تكلف ٥٥ مليون جنيه حتى الآن حسب تقديرات المسؤولين بالوحدات رغم أنه لا يوجد فى الأصل مياه للشرب صالحة للإستهلاك اليومي ، ولكن قد لاحظ الأهالى أن هذا المشروع كان سبباً فى نهب و ضياع و سرقة الآثار المدفونة تحت الأرض أثناء عمليات الحفر ، و هذا يؤكد أن الوحدات البحرية عائمة على بحر من الآثار كما دلت على ذلك كل الكتب الأثرية و البعثات المتتالية الكشفية داخل صحراء الواحات ، و بعض الأهالى عندما حفروا لبناء مساكنهم بالطوب الأبيض الحجرى أو الأحمر الطفلى فقد اكتشفوا كثير من السرايب تحت الأرض وتمكنوا من تتبعها لمسافة ٢ كم و عثروا على ( شخوصات ) التماثيل المخصصة لبعض الشخصيات و أيضاً بعض العملات المعدنية و البرونزية من العصر الرومانى اليونانى ، كما وجدوا بعض القطع الذهبية ، و بعض القطع الأخرى على هيئة مسامير ، و لذلك بدأت الأنظار تتوجه حول أهمية الآثار التى عندما كانوا يعثروا عليها بمحض الصدفة فيسارعوا لتسليمها لهيئة الآثار قبل وجود شرطة الآثار منذ ٣ سنوات فقط أما الآن فالبعض منهم يفضل بيعها للسائح عندما يسأل أو يطلب البعض منها أثناء رحلته السياحية و بدأ التنقيب أسفل المنازل القديمة بعد تركها و بناء غيرها فى مناطق أخرى بالطوب الحجرى ، كما كان الحال فى مدينة الأقصر القديمة ، يعبر بعض الأخباريين بالقول عن صفات الأجنبى (الأجنبى يشتري و لا يبييعش) ويؤكدون على أن الجنسية الفرنسية هى التى تسعى لشراء القطع الأثرية عن غيرها من بقية الجنسيات الأخرى و من الأمور الهامة التى أثرت أيضاً على المواطنة و الهوية الواحاتية من خلال النشاط السياحى هو الزواج بالأجنبيات ، يؤكد الأهالى أن هدف العلاقة بين الواحاتى و السائحة من خمسة عشر عاماً فى بداية إنتشار السياحة كمهنة ونشاط اقتصادى علاقة صداقة و مودة فقط و ليس الهدف مادية أو منفعة ، أما الآن فقد تغيرت شكل العلاقة و أصبح الواحاتى ينظر للأفواج السياحية نظرة مادية صرف و قد تمتد لأكثر من ذلك تبدأ من الخرتيبه الذى يلتفون حول السائح الذى يأتى بمفرده و عند السيارة يقوم أربعة أو أكثر من الخريبتية ليقدموا له مغريات متعددة للإقامة و الإعاشة و التنزرة حتى يتم الاستيلاء عليه فى رحلته للسفارى أو حتى نزوله فى إحدى الفنادق و لهم نسبة من ذلك ثم تمتد بعد ذلك هذه العلاقة إلى الإعجاب من السائحة لإحدى الشباب الذين يعملون فى هذا المجال سواء كان يعمل ( خريبتى ) أو تابع لإحدى القرى السياحية أو الفنادق من خلال الرحلات اليومية ( السفارى) والاحتفالات أو السامر الذى يعقد خلال المدة المقررة .

و يشير أفراد المجتمع أن زواج الشاب الواحاتى من الأجنبية يجعله عبداً لها وتابع لأنها صاحبة رأس المال بعد أن كان ينعم و يتمتع بالحرية فى تصرفاته وسلوكياته من تلقاء نفسه .

أكدت الدراسة الميدانية أنه قد تمت أربعين حالة زواج منها ٤ حالات لأجنبيات صغيرات السن أو في العشرين من أعمارهن و أسلموا بعد الزواج أما بقية الحالات فتمت فيما فوق الأربعين عاماً للأجنبية حيث تصل المرأة إلى سبعون عاماً و ما فوق متزوجات من شباب أعمارهم في العشرين ، و لذلك ينظر الأهالي لهؤلاء الشباب بأنهم يبيعون أجسادهم ( بالبخس ) حيث يؤكد الأهالي بأن الثمن الذي يطلبه الشاب عند زواجه من الأجنبية هو أن تعطيه ٧٠ أو ٨٠ ألف جنيه لشراء سيارة مستعملة للسفاري فهذا المبلغ ضئيل بالنسبة لها ولكنه يعد باهظ بالنسبة للشباب الذي لم يملك ربحه طوال حياته و مع شدة البطالة في الواحات فيتصور الشاب بأنه حصل على ملايين من هذه الزوجة ، و في المقابل تستمتع الزوجة ببضعة شهور في العام داخل مصر تضمن بها منزلاً جميلاً وأوقاتاً رائعة ثم ترجع الزوجة في فصل الصيف إلى بلادها و تعود مرة أخرى في فصل الشتاء فهي تأتي للنتزه و الاستمتاع بالطبيعة الخلابة و الآثار و المناخ الذي تفتقده في بلادها و أيضاً الاستمتاع الجنسي ، ولا يفكر الشباب في إقامة مشروعات ثابتة مثل التوسع في زراعة الأرض مهنة الآباء و الأجداد ، أو في مشروعات صناعية ترتبط بالمحاصيل الزراعية أو إقامة فنادق سياحية و لكنهم يفكرون دائماً في الربح السريع و يفقدونه بشكل سريع و لا توجد إلا حالة طلاق واحدة تمت ، عندما شعرت الأجنبية بأن زوجها أصبح لا يجذبها أو يمتعها كما تريد فأصبحت تنظر لغيره من الشباب و عقدت معه علاقة مما أثار غيظ الزوج الذي طلقها و في المقابل سحبت منه السيارة التي أشتريتها له و عاد الشاب مرة أخرى يتسول من أصدقائه و يبحث عن عمل لينفق على نفسه ، و لكن من المعتاد كما يذكر الأهالي أن الأجنبيات اللاتي لم يدخلوا في الإسلام بعد الزواج تزدن عمل علاقات جنسية متعددة حتى ولو كان لها صديق شاب واحاتي أو متزوجة و الأزواج في هذه الحالات يتكتمون الأمر خوفاً على ما يملكون من سيارة سياحية أو قري سياحية أقيمت بالفعل . وفي ظل الهيمنة الإقتصادية تحولت الثقافة الإستهلاكية الى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية وتغريب الإنسان ، وعزلة عن قضاياها وإدخال الضعف لديه والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والإيدلوجية والدينية حتى يقبل بالخضوع لهذه القوى أو التصالح معها ، ولذلك يصبح الإنسان في هذه المجتمعات التقليدية إنساناً مستهلكاً غير منتج<sup>(٣٠)</sup> .

أثر زواج الشباب بالأجنبيات على النظام القرابي الذي كان يقضى بالانتماء المباشر لجماعة أو لآلاد العم من خلال زواج بنت العم التي كانت تنتقل بالزواج لبيت

<sup>30</sup> - محمد أحمد فهد ، الأمن والتنمية ، المؤتمر السنوي الثالث والثلاثون لقضايا السكان والتنمية وتحديات القرن الحادي والعشرون ، المركز الديموجرافي بالقاهرة ، ٢٠٠٣ ص ٤٥ ، ٤٠ .

العم وكان ذلك يؤكد على الانتماء والولاء تجاه الجماعة الكبرى، ومهما يكن من أمر فإن العائلة الواحائية في كثير من الأحيان تلعب دوراً بالغ الأهمية في حياة أفرادها فهي التي تقدم لهم الحماية والرعاية، حتى الآن مازال بعض العائلات يقومون بأختيار الزواج للأبناء الذكور والإناث من جماعة العم وهو الزواج المفضل في المجتمع الواحاتي حتى بعد أنتشار التعليم الجامعي وقد يرجع ذلك الى التأكيد على قوة العلاقات القرابية التي يسعى اليها كبار السن في ظل مواجهة الأستقلالية التي بدأت تظهر في الأونة الأخيرة وأنتشار السياحة وزيادة النقود مما أدى الى تخفيف وطأة السلطة والسيطرة من قبل الأباء داخل الجماعة القرابية، ولكن إذا سعى الشاب للزواج من أجنبية فلا بد من موافقة الأب بشرط الأقامة داخل بيت العيلة حتى يتم التأكيد على الانتماء والولاء للعيلة، ولكن هذه التغيرات قد أثرت بعض الشيء على النظام القرابي وذلك بإقامة دعاوى طلاق لم تكن موجودة من قبل ولكنها بدأت تظهر في الأونة الأخيرة .

ويعرف أنتوني جيدنز المكانة بأنها الشرف الإجتماعي أو الهيبة الإجتماعية التي يضيفها بعض أفراد المجتمع على جماعة بعينها واصبح مصطلح المكانة مصطلح قانوني يشير الى القدرات القانونية للفرد ، والتي تمكنه من تدعيم الحقوق والإلتزامات إما لنفسه أو للآخرين (٣١).

فالمراة من وجهة نظر المجتمعات التقليدية كائن ضعيف من الناحية الجسمانية وقاصر من الناحية العقلية ، لذا يجب أن ينحسر دور المراة في أداء دور الزوجة بمفهومها الخضوعي والأمومة بمفهومها الرعوي التوالدي (٣٢) .

ويؤكد الواحائية قديماً على سهولة الحياة التي تقضى بالبساطة في أساليب الحياة اليومية وعلى سبيل المثال المهر المدفوع للعروس فمقداره ضئيل يتراوح بين مائة الى خمسمائة من الجنيهات ويزيد أو ينقص مع أختلاف العائلات طبقاً للمستوى الأقتصادي والأجتماعي لأهل العريس والعروس أما الآن فقد يصل المهر لخمسة أو ستة الألف من الجنيهات ، هذا بخلاف تجهيز المسكن الذي كان يرتبط بحجرة بسيطة داخل مسكن الأهل يفرش بأبسط المفروشات على الأرض والأواني المنزلية كلها من منتجات النخلة منتجات خوصية ، أما الآن أتجه الواحاتيه الى بناء منازل خاصة مستقلة بالقرب من منزل الال للزواج ويسعون لتجهيزها بأفخر المفروشات ولأول مرة يشتررون غرف

٣١- أحمد مجدى حجازى ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية رؤية نقدية من العالم الثالث - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب - الكويت ، المجلد الثامن والعشرون - العدد الثانى - أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩ ص ١٣٣ .

٣٢ - حسن مرسى : العولمة و انعكاساتها على تطوير المتعلمين فى مصر ، مجاة شئون الشرق الأوسط ، العدد السابع عشر ، ٢٠٠٦ م . ص ١٥٣ .

للنوم يتباهون بها الأهل أمام الجميع كما ظهرت بعض الأهتمامات بالديكور داخل وخارج المنازل الحديثة التي يبنها الشباب الذين يعملون بالسياحة أو دون ذلك ،من خلال الدهانات بالمواد الحديثة وتركيب النوافذ والشبابيك والأبواب ، يهتمون بوضع بعض الرسومات داخل المنزل في المدخل تتم عن الآثار والمزارات السياحية والطبيعية التي تشتهر بها الواحات والتي كانت لم تعد ذو أهمية في حياة أهل الواحات من قبل أو توضع هذه الرسومات داخل صالة الاستقبال للضيوف ، وأستخدم الفنانين التقليديين للمناظر الطبيعية المأخوذة من البيئة مثل الأشكال المخروطية والتكوينات الموجودة في الصحراء السوداء والصحراء البيضاء .

أكثر من ٣٠ % من شباب الواحات البحرية يعملون بالعمل السياحي فمنهم من ينجر في تيار الزواج بأجنبية وأشارت الدراسة الميدانية في بدايتها أن عدد الزيجات وصل الى ٤٠ حالة زواج ، وفي نهاية الجمع الميداني وصل العدد الى ٥٠ حالة زواج وكانت المدة الفاصلة حوالي سبعة أشهر، و الهدف من ذلك العمل في مشروعات سياحية خاصة بهم ولكن منهم من يخاف على قيمه عندما أكدوا على أن الأجر الذي يحصلون عليه ليس به بركة من الله لأن رحلات السفارى قد تتسم ببعض السلوكيات المنافية للقيم الأخلاقية من ( شرب الخمر و الإتصال الجنسي غير المشروع حتى بعض الشباب أصبحوا لا يتمسكوا بصوم رمضان ويجاهرون بالافطار دون تحسب بأن ذلك يخالف قواعد و عرف أهل الواحات ) و بعد التجربة في العمل انسحب بعض الذين يعملون في الغالب في قيادة السيارات أو أعمال النظافة أو تحضير الطعام الواحاتي الذي يعشقه السائح أثناء الزيارة و هؤلاء الشباب الذين يعملون في هذه الأعمال المتدنية غير متعلمين ، حيث يعمل المتعلمون منهم في أعمال أخرى مثل الإرشاد السياحي والعلاقات العامة و تجهيز الأفواج واستجلابهم من خلال شبكات النت أو الكمبيوتر .

يندمج الأجنبي بسرعة ملحوظة في الثقافة المغايرة من خلال إقبالهم على أصناف الطعام الواحاتي ( البطاطس المطبوخة- الدجاج المشوى على الحطب والارز الأبيض والسكوتي ) ، كما يفضلون اصناف معينة في الإفطار (الجبنة الواحاتية ثم الجبنة الثلثات والبصل الأخضر والليمون وقطع البندورة وعلب التونة ) ويؤكد الواحاتية أن الأجنبي لا يتمرد على الطعام حتى لو هبت عليه الرياح في الصحراء ، كما يشيرون بأن الجنسية الكورية شرهة في طعامها ويليها اليابانية ، ويشير الشباب الواحاتي أن الأجنبي يأتي الى هنا وعايز يعرف كل حاجة عننا مثل (طعامنا - عاداتنا - تقاليدنا - أفكارنا ) أما نحن فلا يهمنا هذه الأمور ،ويؤكدون بأن السائح يحترم العادات والتقاليد التي يتمسك بها أفرادها ، و على سبيل المثال النساء اللاتي أتت من الدول الأوروبية ودخلن الاسلام يحرصون على أداء الصلوات في مواعيدها حتى أثناء

رحلات السفارى ويصرون على أن الجميع يصلون معهم ويريدون سماع القرآن الكريم فى الصحراء ويؤكدون على سماع الأذان ولايشربن الخمر ولايدخن السجائر . يؤكد الأهالى بأن الزواج من الأجنيبات هو الذى نشر ثقافة الأجنبى من حيث اللغة و الزى و بعض العادات و التقاليد ، و تبدأ من الأطفال الذين عندما يرون هؤلاء الأجانب يمدون أيديهم لأخذ ( قلم ) كهدية واصبحوا يعرفون اسمه بالإنجليزية فيقولون للأجنبى ( Pen ) أو يؤدون سلوكيات التحية ( هالو) أو أخذ أى نقود معدنية بسيطة على سبيل التذكار ولاحظت الباحثة أن الطفل يقول للسائح هات دولار ، فاللغة هى الوسيلة الأساسية لتعليم شباب الواحات كيفية التعامل مع السائح ولكنهم يتعلموها من خلال الممارسة اليومية .

وعندما ازداد عدد السائحين فى المنطقة ازداد عدد النساء المنقبات بغرض الحماية لهن و حتى لا تكن مصدراً للفتنة بين الشباب الذكور و ليس بغرض التدين بخلاف ما قد كان قديماً ،حيث كانت المرأة ترتدى ما يسمى بالثال على رأسها حتى نهاية البطن ثم تلفه بأيديها على وجهها فى حالة السلام على الآخرين ،كما كان الاختلاط بين الذكور و الإناث من الأمور العادية المسلم بها داخل البيت الواحد (العلاقات القرابية) أما الآن فأصبح الخوف يهدد نفوس الكثير من الأقارب و يرجع ذلك لانهيال القيم بعد دخول السائحين القرية ويؤكد الواحاتية إن السياحة أثرت فى النسق القرابى حيث لم تعد هناك صراحة فى القول بين الأخوة وأولاد العم فانتشرت بعض القيم غير المرغوب فيها مثل (اللؤم والخباثة على حد تعبيرهم وأصبح هناك الطمع الأنسانى فيما بينهم ويقول أحد الأخباريين ( النظرة بالعين للكل) ويقصد بذلك أن أفراد المجتمع ينظرون الى كل من يعمل بالسياحة لأنهم أصبحوا يمتلكون الكثير حتى المحالات التجارية البسيطة أخذت شكل مختلف فى الواحات الزجاجة البديعة وبعض الديكورات والرسومات التى تجذب السائحين للشراء من منتجاتهم البيئية والمستوردة التى تقى بأحتياجاتهم اليومية ، كما أصبح يكتسب أصحاب المحالات اللغة الأجنبية سماعياً للتعامل فى أمور البيع والشراء ويؤكد الواحاتية بأن اللغة الصينية تعد عائقاً لكثيرين منهم ونفس الحال لليابانيين كما يتمسك الألمان بلغتهم ويتكلمون الإنجليزية على مضمض .

ومن الملاحظات الميدانية توجد بعض المنازل حول منطقة يوسف سليم الأثرية (المقابر الرومانية) تخرج النساء لبيع البلح للسائحين كمصدر للرزق آخر بجانب الزراعة ، وهذه المنازل يعيش فيها الوافدين من المحافظات الأخرى يزرعون فى الأراضى التى أشتروها من الواحاتية .

قامت السياحة بانعاش بعض الحرف التقليدية اللى تباع فى الفنادق والبازارات السياحية وأصبحت مصدر رزق للنساء والشباب وكلها من البيئة تأكيداً على الهوية الواحاتية وشغل أوقات الفراغ للنساء والقضاء على البطالة للنساء المتعلمات اللاتى

تعانين منها ، هذا بالإضافة الى ظهور السياحة الترفيهية المرتبطة بالرقصات والأغاني والواحائية التي تجذب الأجنبي من كل الجنسيات ويشير الشباب الواحاتي بأن السائحين الشباب يختلفون عن كبار السن في أستماعهم بالمكان فهم مهرجين ومرحين ويشربون الخمر بشكل فوضوى .

يؤكد بعض الشباب العاملين في مجال السياحة أن النقود التي يتقاضونها (منظورة) و لا يعنى بها الحسد على حد قولهم و لكنها تنفق في نسبة الاستهلاك المرتفعة لأنهم يقلدون الأجانب في نمط استهلاكهم من حيث شراء المياه المعدنية وشراء السجائر الأجنبي و الخمر و لذلك فإن الدخل من الرزق اليومي ينفق ويصرف عن آخره و من هنا تراجع بعض شباب الواحة عن هذا النمط من العمل حتى من يعمل منهم سائقين رغم أنهم لا يتعاملون بشكل قوى إلا أن منهم أقام علاقات جنسية مع السائحات قد تصل في بعض الأحيان للزواج ويذهب معها إلى موطن إقامتها ثم يعود مرة أخرى للواحة و يقوم بعمل مشروع سياحي ثم تتوالى الزيارات منها لمدة شهر أو اثنين في العام للمتعة و مصلحة اقتصادية بالنسبة له .

أضافت السياحة بعض الصفات الهامة في العمل للواحاتي وهي النظام خاصة في قيام رحلات السفارى التي تقتضى قيام عدد كبير من السيارات فى أن واحد خاصة فى وقت الذروة وتسير السيارات فى صف واحد ، كما يعمل الشباب فى هذا المجال بحذر فالمستجدين منهم والذين ليس لديهم خبرة يعملون مع الآخرين حتى يكتسبوا المعارف والخبرات المختلفة فإذا لم يكتسبوها فالعمل الزراعى أساسى فى حياة الواحاتية خاصة فى الأونة الأخيرة بعد أنتشار مصانع تجفيف وتعليب البلح وأصبح لها دخل ثابت كل موسم ،فقد يصل الريح فى كثير من الأحيان ١٥٠ ألف جنية سنوياً حسب عدد النخيل للعائلة الكبيرة .

و من هنا تعد السياحة نشاط اقتصادى واجتماعى يتعاطم الاهتمام به يوماً بعد يوم و باعتبارها أهم وسيلة لتقريب الشعوب و تبادل السلوك . (٣٣)

تعلم الشباب الواحاتي من السائح أحترام المواعيد وعدم الكذب والألتزام ولذلك انشأت جمعية (محبى الصحراء) بالاتفاق مع جمعية (حياه) المنشأه فى مدينة الفرافرة الذين يتقاسمونها فى العمل السياحي وخاصة الصحراء البيضاء وفى حمايتها ونظافتها فهى مصدر رزق لهم جميعاً ، ومن هنا بدأ الواحاتيين يتعلمون فكر المجتمع وإدارته للمشروعات بهدف التنمية المستدامة .

يرتبط الأمن ومنع الجريمة والتنمية بروابط وثيقة ،وهذا ما تضمنته القواعد المعروفة "بقواعد بكين " والتي تمثل الوثيقة الأساسية لبرنامج الأمم المتحدة لمنع الجريمة وهو جزء لا يتجزأ من عملية التنمية الوطنية لكل بلد ضمن إطار شامل من

٣٣- تقرير التنمية البشرية ، نحو عقد إجتماعى جديد ، معهد التخطيط القومى ، ٢٠٠٥م ص ٩٤ .

العدالة الاجتماعية ، وهنا يأخذ في الاعتبار التغيرات الاقتصادية القومية وما يرتبط بها من تغير في الهيكل الاجتماعي حتى لا يحدث إخلال بالعدالة الاجتماعية ، كما ينظر لها من خلال مراحل تطور المجتمع في ضوء عاداته وتقاليده ، كما نصت على أنه يجب إعطاء الاهتمام الخاص بالصحة العامة ، وظروف العمل ، وإستغلال المصادر الطبيعية والبيئة ، والمنتجات الاستهلاكية والخدمات (٣٤).

و أصبح للسياحة دور كبير و مهم في أى مجتمع يملك عناصرها ، بإعتبارها صناعة تهدف إلى تحقيق أهداف اجتماعية واقتصادية في المجتمع و بالتالى حل مشكلة البطالة و أيضاً دورها في تحسين الوضع في ميزانية المدفوعات و تدفق رؤوس الأموال الأجنبية ، و زيادة حدة المنافسة بين الدول لجذب السائحين ، ولم يقتصر دورها على ذلك ، بل كان لها دور عظيم في إنعاش القطاعات الأخرى داخل النسق الاقتصادي . (٣٥)

### متحف محمود عيد نموذجاً للتأكيد على الهوية والمواطنة

يقع المتحف عند مدخل المدينة الجنوبي باتجاه طريق العاصمة (مدينة البوايطى) ومبنى على ربوة عالية مقسم إلى عدة غرف و ملحق به حديقة بديعة تتميز بألوان زاهية من خلال الورد المتناثرة و الأشجار المتنوعة في أحجامها وألوانها ، و عدد من الممشى المؤدية لكل غرفة من غرف المتحف .

قام ببناء هذا المتحف الفنان محمود عيد دون مساعدة من أحد و مجهوده الخاص و هو في سن ٢٢ سنة ، و لكنه يملك الموهبة المرتبطة بالنحت منذ ثمانى سنوات من عمره كان يشكل الطين بمفرده دون تدخل من أحد أفراد أسرته .

يؤكد محمود عيد أن السائح يأتي ليرى التراث القديم للوحدات الذى يشمل الزى والأدوات المستخدمة و العمارة القديمة و العادات و التقاليد المحافظة فالملبس من الأمور الهامة التى تساعدنا على التأكيد على هويتنا ، و لذلك نرى محمود عيد يرتدى الجلابب الواحاتى و السروال و هو متمسك به تمسكاً شديداً و يركز في حديثه أن الزى الواحاتى للرجال بدأ يندثر من تمسك الشباب بالزى الحديث الذى يرتديه السائح وهذا ما سوف يفقدنا هويتنا وذاتيتنا .

يؤكد أصحاب الفكر المحافظ على أن التغيير أمر حيوى ومطلوب في داخل الأنساق الاجتماعية ، ولكن هذا التغيير من أجل الإستقرار والتوازن ،فهو لا يحدث بفعل

<sup>٣٤</sup> -ماهر عبد الخالق السيسى ، مبادئ السياحة- مطابع الولاء الحديثة - القاهرة ٢٠٠١م ص ٢٣٣ .  
<sup>٣٥</sup> -سعد بركة-العولمة والسياحة في تونس : دراسة في انثروبولوجيا السياحة- ندوة الثقافات المحلية في ظل العولمة - معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة،(٣-٤ مايو ٢٠٠٣م) ص ١ .

الصراع او من أجله بل في سبيل تحقيق التكامل الإجتماعى والأخلاقى ، كما أكدوا على فكرة الإصلاح بدلاً من التغيير ودعم التماسك الإجتماعى (٣٦).  
يجب أن نعترف بأن الهوية هى صفات وأحاسيس ونمط حياة ، هى فى كل شئ ، فى الملابس والمأكل والموسيقى والفن والثقافة ،فى الحرية والمقاومة والصمود ، وأنها نمط معيشى يتفاعل مع المتغيرلت المحيطة به ، الهوية إذن هى أحد مكونات الشخصية الوطنية ، فلا مكان لمن ليس له هوية فى ظل عولمة بلا حدود(٣٧).

### مستخلصات الدراسة :

يشهد عالمنا المعاصر مجموعة من التغيرات و التحولات العالمية و مما لا شك فيه أننا فى مجتمعنا المصرى نتأثر بهذه التغيرات و التحولات العالمية من عولمة وافدة إلينا ، فنحن نعيش بداخلها و لا نستطيع الخروج عن قالبها ، كما لا نستطيع أن نتجنبها أو نغض أعيننا عنها ، بل و لا بد أن نهيب أنفسنا للتعامل مع هذه التحولات المعاصرة بما يناسب احتياجات هذا العصر الذى نعيشه . (٣٨)  
يؤكد أهالى المجتمع الواحاتى أن عدم الإنتماء و المواطنة ينبع من عدة أمور هامة من وجهة نظرهم ، الاحساس بالظلم من السلطة ( محليات - محافظة - بوليس ) و عدم الشفافية من الحكومة أو السلطة ، و أيضاً عدم إعطاء حرية للرأى و التعبير عن مشاكلهم واحتياجاتهم أو عدم أيضاً تلبية هذه الاحتياجات وإشباعها حتى تنتقل هموم الذات الى هموم الوطن .  
كما يؤكد الأهالى أن الفساد فى الدولة و المسؤولين من شأنه أن يضعف الروح الوطنية و الإنتماء لهذا المجتمع و لهذه الأرض و ما عليها و ما بها من كنوز و آثار و ان هذا الفساد من شأنه يثير روح الثورة الشعبية ضد النظام .  
و تعد البطالة فى المجتمعات الصحراوية هى أقوى العوامل المؤثرة فى بانخفاض الروح الوطنية ، فدائماً تعقد المقارنات من الأهالى فى هذه المجتمعات بينهم و بين سكان المدن الذين يتمتعون بكل الخدمات و التنوع لفرص العمل والتعليم و عندما تزداد الفجوة لصالح سكان المدن تزداد معها ضعف روح الإنتماء و الوطنية لدى الشباب الذى يعانى من نقص فى كل الجوانب الحياتية ، حيث تزداد طموحاته مع قلة امكانياته .

<sup>36</sup> - Valene , J . Smith & William R . Eadiugton – Tourisn Alternative Potential and Problems in the development of Tourism- unit of Pennsy Lvania Press – Philadelphia 1992 , P 2 .

٣٧- أحمد مجدى حجازى ، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية - رؤية نقدية من العالم الثالث - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، المجلد الثامن والعشرون - العدد الثانى - أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩ ص ١٢٩

٣٨- جلال أمين ، خرافة التقدم و التأخر ، العرب و الحضارة الغربية فى مستهل القرن الواحد و العشرين . دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ م ، ص ١٥٧



أثرت السياحة على أفراد المجتمع في الواحات (شباب وأطفال) في معرفتهم بالكمبيوتر وإتصالاتهم بالشبكات العالمية وخاصة الذين يعملون في المجال السياحي من حيث الأطلاع عليه، وأصبحوا يتصلون بالغرب وجنوب شرق آسيا لتنظيم الأفواج السياحية .

دعم نظام رحلات السفارى سمة التعاون بين أصحاب الفنادق من خلال الأستعانة بسيارات بعضهم البعض وقت الذروة في موسم الشتاء ، ويرجع ذلك الى النظام القرابى الذى يحث على التعاون بين الجماعة القرابية وجماعات الجيران .

قديمًا لا توجد قيمة للأثار في نفوس الواحاتية ويعبرون بالقول (لاتجلب موعود) اما الآن تغيرت النظرة وأصبح يوجد من يتاجر فيها ويرجع ذلك لأن انتشار السياحة وطغيان النظرة المادية ونشر فكرة بيع كل حاجة (بيع الجسد-بيع الأثار-بيع الأراضي ) .

يشير بعض الشباب من وجهة نظرهم أن الدول الأجنبية تعطى مكافأة لمن يعثر على قطعة أثرية ويسلمها للمسؤولين في بلادهم ، أما في مصر فيأخذها المسؤول ليبيعه لحسابه لانه يحب نفسه ولا يحب وطنه ودلوا على ذلك تهريب الأموال المسروقة للخارج وأكدوا أن السياحة والتجارة أعمال تغدق الملايين من الجنيهات ، كما أكدوا على أنه لا توجد علاقة بين الأثار والحفاظ عليها بقضية الإنتماء والوطنية ولكن الأمر يتعلق في أذهان الواحاتية الفقراء بالأقتصاد وزيادة المرتبات للفقراء الذين يعملون في أعمال الحراسة للمناطق الأثرية فإذا تقاضى هؤلاء مرتبات مجزية تصل لدرجة الإشباع في كل الإحتياجات الأساسية الحياتية فلن تكون هناك فرص للإنتهازية وبيع الوطن ، ولكن الدولة لا تريد مثل هذا الحل لأن الأثار تباع (من فوق ) ويقصدون بذلك المسؤولين ، ويشيرون بالقول (إن الذى يسرق فى الزمن ده يبقى شاطر ) .

يؤكد الشباب الواحاتى أن السياحة تقضى على القيم الواحاتية ، فعلى سبيل المثال قديمًا لا يشرب الذكر السجائر أما الآن يدخن أمام والده ، كما لا يجوز له أن يفرد قدمه أمام الكبير ، اصبح الآن يخرج أمام الناس ( بالشورت ) على حد تعبيرهم ، هذا بخلاف المتعة الجنسية التى دائماً ينشدها الشباب طيلة الوقت مما يجعلهم يبحثون عنها من خلال العمل فى رحلات السفارى ، هذا بالإضافة الى إنعدام احترام الجار بعض الشئ و الذى كان بمثابة الأب للأولاد منذ نعومة أظفارهم ، كما انتشرت عادة شرب الحشيش بين شباب الواحاتية حيث يعد مطلباً للمتعة الجنسية تأتى به بعض النساء الأجنبية وتبحث عنه إذا نفذ من جعبتها .

نشر الزواج بالأجنبيات فكر و ثقافة الأجنبى بين أفراد المجتمع ويشيرون بالقول (أن النساء الأجنبيات غالبة فى بلادهم ولكن قرشهم غالى وكبير عندنا ، والشباب المصحح يأخذ القروش ويشترى بها اراضى ويزرعونها وتعيش معاهم نسائهم واولادهم فى أمان لأن السياحة ليس لها أمان ) ، وتتعامل النساء مع أهل الزوج والأزواج بحب وود وتعاون من أجل أستقرارها الإجتماعى .

دخلت بعضاً من السائحات المتزوجات في الدين الإسلامي تصل نسبتهن حوالى خمسة من إجمالي حالات الزواج التى بلغ عددهن ٥٠ زوجة منهن اثنتين ألمانيتين وثلاثة من جنوب شرق آسيا .

خلقت السياحة في نفوس الشباب الواحاتى مبدأ التسامح الذى يستند الى مقولة هامة (لكم دينكم ولى دينى) ، كما أكدت على مبدأ الاحترام المتبادل بين السائحين والعاملين فى هذا المجال ويتضح ذلك من خلال إحترام السائح للعبادات الإسلامية للصلاة والصوم فى شهر رمضان إذ يؤكد الواحاتية ذلك أثناء رحلات السفارى فيرفض السائحون الطعام فى اوقاتها وينتظرون أذان المغرب حتى يأكلون سوياً .

بدأ يساور أهل الواحات الشك بأن عمليات بيع الأراضى دون تقنين لها قد يخلق ثغرات تنفذ منها إسرائيل لشراء الكثير منها عن طريق المستثمرين مجهولى الهوية وفى غفلة من الحكومة ، إذ يأتى العديد منهم لشراء آلاف الأفدنة بحجة الزراعة وإقامة المشروعات التنموية وهذه النقطة الهامة ربما تخلق فى المستقبل فى نفوس الواحاتية حب الوطن والخوف عليه والتمسك به كما كان فى الماضى .

هذه الدراسة محاولة كرد فعل حيال التحديات التى أوجدتها العولمة حيال ثقافات الشعوب العريقة و الضعيفة كى تستخرج كل حضارة تنوع عطاءاتها والتأكيد على مفرداتها و على امكانية تطوير اقتصادها المحلى فى جذور ثقافتها المحلية و على التأكيد على قواعد احترام هذه الحضارة و هذا التراث من قبل الآخرين ليس فقط من الناحية المعنوية و الفكرية بل عملياً من خلال حماية الآثار والتراث من السطو و الحفاظ عليهما واحترام البيئة و أن مردودها المادى يعود على المحافظة على التراث و التنمية الثقافية من خلال عدة أمور منها : —

١. اشترك المواطنين و المجتمعات المحلية فى برامج المحافظة على التراث .
٢. الحوار بين الثقافات يجب ان يصبح الهدف الأساسى للسياسات الثقافية والمؤسسات الوطنية و الدولية .
٣. رسم سياسة واضحة للإدارة التوعوية لمواقع الآثار و إظهار قيمة التراث والحضارة بتميزها تنموياً ولذلك تصبح السياحة سياسة ثقافية شاملة تسهم فى أنسنة العولمة .
٤. وضع مبادئ أساسية للسياحة الثقافية تشتمل على : —

- أ- تحليل الظاهرة السياحية المعاصرة فى اتساعها و فى تعقيداتها الحالية .
- ب- السياحة ليست زيارة الموقع السياحى فقط و لكنها تتعدى ذلك لتشمل التعرف إلى نسق حياة الناس و العادات و الاقتصاد اليومى والمأكل و الملابس والتراث الشعبى بكل عناصره وتجلياته فى الماضى والحاضر.

ت- رسم سياسة واضحة و مرنة للتنمية السياحية لأن السياحة الثقافية مفهوم متطور غير جامد و ذلك من خلال تحديد أدوار السلطات العامة والمؤسسات المنوطة بذلك بل كل المؤسسات الشعبية لتكون حركة شعبية يساهم فيها كل فئات الشعب حتى تتأكد في نفوسهم مشاعر الوطنية والانتماء و الولاء للوطن ، و ان إدارة الأماكن السياحية والإنتاج التراثي إدارة ليست دوماً سهلة متشابهة .

ث- الأثر التاريخي الدائم مدى العصور يعد موقفاً هشاً حيال الأعداد الغفيرة من السياح الذين يزورون الموقع و يتم استهلاكه بطريقة ما ، وبما أن كل أثر هو ملك محلي يعد ملكاً للإنسانية ، ولذلك لا بد من تنظيم الدفق السياحي نحو المواقع الأثرية و التاريخية و التراثية و لذلك يجب أن يكون للمدارس بكل مراحلها دوراً هاماً في غرس هذه القيم و المبادئ الثقافية في نفوس الأطفال و الشباب و التي لها دوراً أيضاً في غرس الوطنية والانتماء منذ الصغر ، فالوطنية و الانتماء لا يولد بها الفرد ولكنه يكتسبها ضمن مجموعة القيم والأعراف داخل الجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه .

ج- وضع خطط لتنظيم الموقع الذي يؤمن للزائر حسن معرفته و إظهاره على أفضل وجه من خلال التنظيم المسترغيب المعلن الذي لا يفرض منهجيته على منطقة الأثر وبذلك تحفظ له الشعور بالرهبة والحس الجمالي ، وهذا التنظيم يجمع بين احترام القديم المتألف مع استخدام أحدث تقنيات التواصل التي تيسر المعرفة و تترك الانطباع القوي والأثر الجيد مما يتطلب فريق للعمل متكامل (فنيين أثريين - علماء - مهندسين فنانين ) .

## مقومات السياحة في الواحات البحرية



- المزارات السياحية :
- تتميز الواحات البحرية بتعدد نوعيات مزاراتها السياحية فبعض منها ذو صفة أثرية يعود إلى العصور الفرعونية والرومانية والمسيحية بالإضافة إلي القليل من الآثار الإسلامية أما البعض الآخر فيستند إلى المقومات الطبيعية للمنطقة بجبالها ووديانها وأبارها وعيونها وحدائقها وسكانها ولعل مثل هذا التنوع في المزار السياحي في الواحات البحرية يؤهلها إلى أن تجتذب نوعيات متعددة من السياحة الثقافية والعلاجية والبيئية بالإضافة إلى سياحة السفارى الى سياحة السفارى .



منطقة قصر سليم :

- منطقة قصر سليم هذه المنطقة عبارة عن هضبة تقع في قلب مدينة البايطي قرب الطريق المرصوف الذي يخترقها وتضم مجموعة من المقابر الفرعونية المحفورة في تلك الهضبة الصخرية
- مقبرة ( أبيس المقدس ):
- تقع هذه المقبرة على هضبة الفرارجي وتعد واحدة من اقدم الآثار المكتشفة في الواحات البحرية وترجع تسمية الفرارجي الى أن السكان المحليين قد تصوروا ان الموميאות الصغيرة داخل غرف الدفن قد كانت لأنواع من الدواجن بينما هي في واقع الأمر لمجموعة من الحيوانات المقدسة التي كان الأهالي يقدمونها كقرابين محنطة للآلهة .

#### كنيسة سان جورج :

- هي كنيسة بنيت ما بين القرنين الرابع والخامس الميلادي في منطقة الحيز على بعد حوالي ٤٠ كم ويعتقد ان هذه الكنيسة بها رفات الجسد ( بدون راس) الخاصة بسانت ( بارسوا لموموا ) أحد حواربي السيد المسيح .
- معبد الاسكندر الأكبر :
- يقع هذا المعبد في منطقة شمال شرق القصر قد أمر الاسكندر الأكبر ببناءه تكريما" للاله آمون خلال مروره بالواحات البحرية في طريقه الى واحة (سيوه) وترجع أهمية هذا المعبد الصغير المكون من حفرتان الى انه المكان الوحيد الذي تواجدت به خرطوشة باسم الاسكندر الأكبر



#### معابد عين المفتلا :

- منطقة عين المفتلا الأثرية عبارة عن هضبة رملية مرتفعي في قرية القصر . وتطل هذه الهضبة على مناطق زراعية محاطة بمجموعة من الجبال الهضاب وتوجد بها أربع معابد كلاً منها مستقل عن الآخر . وقد تم اكتشاف أول هذه المعابد في عام ١٩٠١ أما المعابد الثلاثة الباقية تم اكتشافها بواسطة الدكتور / احمد فخري في النصف الأول من القرن العشرين .



• **الصحراء البيضاء**

تقع منطقة الصحراء البيضاء على بعد حوالي ٢٥ كم شمال شرق واحة الفرافرة على الطريق الاقليمي للفرافرة/البحرية، وهي تابعة اداريا لواحة الفرافرة وتبعد عن الباويطي بحوالي ١٦٠ كم ونظرا لتفرد الصحراء البيضاء، فان زيارتها تلاقى هائلا من زوار البحرية فهذه الصحراء التي تمتد لمسافة ٢٠ كم تتميز برمالها البيضاء المستوية المليئة بعدد هائل من التباب البيضاء التي تولت على العوامل الجوية تشكى لها لتأخذ كلا منها شكلا مميزا .

• **العين السحرية :-**

يطلق الاهالي هذا الاسم على هذه العين التي تتدفق من اعلى تبة صغيرة تحتوى على مجموعة شديدة الكثافة من اشجار النخيل وسط الصحراء المنبسطة . ولعلى التسمية ترجع اى انه بالرغم من استمرار تدفق العين السخنة مستمرة ، فان التبة ظلت على حالها ولم تتحول المنطقة المحيطة بها الى واحة ، وقد ادى ذلك الى اعتقاد البعض بأن تدفق العين يتوقف بعد انصراف الزائرين .

